الدكتور عماد الدين خليل

لعبة اليمين واليسار



لعبة اليمين واليسار

الدكتور عماد الدين خليل

لعبة اليمين واليسار

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

(اليسار) و (اليمين) .. احدى (مودات) العقدين الاخيرين .. فكما ان هناك (مودات) فى عالم الملابس والتسريحات والذقون والاحذية .. وكما ان هناك (مودات) فى عالم الاجتماع والاخلاق ، فهناك (مودات) كذلك فى عالم السياسة والاقتصاد ، تعبر عن نفسها بمصطلحات جميلة براقة تستهوى القلوب ، وتسبى العقول ، لدى صدورها اول مرة .. الا انها سرعان ما تهمل وتنسى بمجرد ان تغدو الفا وعادة ، واستمرارا لا جدة فيه .. وتبرز بدلا منها مصطلحات جديدة تستقطب اهتمام الناس حولها من جديد .

ومصطلحا اليسار واليمين ، وما بينهما من درجات ، هى مودة العقود الأخيرة فى عالم السياسة والاقتصاد ، فأنت لا تقرأ صحيفة او مجلة ، ولا تفتح مذياعا او تلفازا ، ولا تتحدث مع صديق او قريب فى شأن من شؤون الساعة السياسية او الاقتصادية حتى تجد هذه الكلمات والتصنيفات تنهال عليك من كل مكان .. والويل لك اذا لم تكن — عصريا — وتقف الموقف المطلوب ، فتسعى بذورك الى عملية تصنيف شيقة لقوى العالم السياسية والاجتماعية ، بين يسار ويمين ، ويسار متطرف ويمين معتدل ، ووسط يمين ويسار ميال الى اليمين ، ويمين مجذوب الى اليسار .. فاذا كنت مسلما وجب عليك ان تحدد موضعك بالضبط من هذه التقسيمات ، وان تختار اليسار دونما تردد كى لا يتهمك احد بالعمالة .. وكى لا يتهمك احد بعمالة من نوع آخر ، وجب عليك الا تتطرف فى اختيار موقعك فى اقصى درجات اليسار .. وان تكون عاقلا فتقف حيث اليسار المعتدل ، وحيث الحياد وعدم الانحياز الى هنا او الى هناك .. واذا كنت منتميا الى حزب من الاحزاب

وأردت أن تعلن حربك على حزب معاد آخر فان أول ما تفعله هو أن تتهمه باليمينية ، فاذا كان حزبك يمينيا اتهمته باليسارية .. لا فرق .. ما دامت لعبة اليمين واليسار لا تعدو الانتماء اللفظى الى هذا المصطلح او ذاك .. وما دامت جميع الفئات ، يمينية او يسارية ، تمارس ذات المناهج الوضعية ائنى تحوى الكثير من الخطأ والانحراف والظلم والطغيان ! .

والانسان ، ما ان يتخلى عن المنهج والهدى الالهى ، حتى يضيع .. وسرعان ما يجد نفسه فى مواطن الحيرة والضلال الفكرى والخلقى .. حيث تجد ــ شياطين الارض ــ فرصتها لتتخطفه اليها عبر ساعات حيرته وضلاله .. ولا يجد (المسكين) بدا من الارتماء فى الاحضان التى يجدها اكثر دفئا وغناءا ، والتى تعده بحياة افضل ومستقبل اسعد . . ولن يهم تلك الشياطين يمين ولا يسار ، فهذان اصطلاحان (شكليان) حديثان . . ومن قبلهما لعب هؤلاء الشياطين على عشرات غيرهما من المصطلحات على مدى التاريخ .. انما الذى يهمهم ويعنيهم هو عنصر الجدة والاثارة والاهتزاز الراقص فى هذا التقسيم الطريف بين درجات اليمين واليسار .. وما اروعها من فرصة للعب على العقول والتصنيف على الناس المساكين ، او تصنيفهم الى افواج وكتل واحزاب ينتمى كل منها الى درجة من درجات هذا التقسيم ، ويدور بينها جميعا صراع لا يرحم . . ولن تكون الحصيلة فى النهاية الا لصالح الشياطين الذين يقفون دوما منتظرين الفرصة لتحريك اللاعبين والراقصين على المسرح بما يؤدى فى النهاية الى اعجاب الجماهير وتصفيقهم الحار لاولئك الذين اخرجوا المسرحية وحركوا دماها .. ووضعوا اتباعهم فى شبابيك التذاكر يقبضون الاثمان ! .

وما هذه المقالات الخمس سوى محاولة اولية للكشف عن الاطراف المشتركة فى هذه اللعبة ، او المهزلة ، والاهداف التى اجريت من اجلها .. كنت قد نشرتها موجزة على شكل حلقات فى جريدتى « المجتمع » و « الشهاب » اللبنانيتين .. واحب اليوم ان انشرها مجتمعة ، بعد ان عدت الى كل واحدة منها فنقحتها

وزدت عليها ، وأضفت اليها الكثير مما فاتنى أن اذكره أول مرة .. وعسي ان اكون قد وفقت الى شيء مما يدور فى نفسى وذهنى ، عبر المحنة التى نعانيها جميعا .. و « ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، وان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » .

عماد الدين خليـــل
جامعة الموصل



الصَّهيُونيّة وَلعبَة اليمِين وَاليسَار

« ان من بين مواهبنا الادارية التى نعدها لأنفسنا موهبة حكم الجماهير والأفراد بالنظريات المؤلفة بدهاء ، وبالعبارات الطنانة ، وبسنن الحياد وكل أنواع الخديعة الأخرى .. » .

بروتوكولات حكماء صهيون

الطبعة الرابعة

ولعبة اليمين واليسار تتف ــ بلا جدال ــ على رأس الخدع التى تفتق عنها دهاء حكماء صهيون . . ولننظر :

— ١ —

كشفت احــداث عام ١٩٦٨ فى فرنســا عن حقيقة موقف القوى الصهيونية فى معركة الانتخابات التى خاضها « الديغوليون » ضد منافسيهم ، واشار احد المحللين السياسيين الفرنسيين الى ان الصهاينة تررروا الوقوف بشكل حاسم الى جانب مرشحى اتحــاد اليسار الفرنسى لزعزعة مركز الديغوليين ، وربما ازاحتهم عن الحكم ، وان الصهاينة كانوا ــ قبل قيام ديغول بمصالحة اليمين المتطرف ــ ويقيمون هنــاك وراء هــذا اليمين كراس حربة يمكن ان تصيب هدفها فى يوم من الايام !! .

وتحرك الصهيونية من اليمين الى اليسار وبالعكس ، يلتزم دائما مصلحة اليهود واهدافهم بعيدا عن الاطر القومية للبلد الذى ينشطون فيه او مصالحه الوطنية داخلية كانت ام خــارجية . . ومعروف ان موقف الديغوليين ازاء القضية الفلسطينية يتســم بالموضوعية الى حد ما ، او الحيادية على الاقل ، وان كنا نحــن نربطه ربطا عضويا بما لفرنسا من مصــالح واهداف فى دول اواسط افريقيا تلك التى تحادد بعض الدول العربية فى الشــمال الافريقى . . واليهود لا يريدون من قوى العالم ان تقف على الحياد، يريدونها أن تزج بنفسها الى جانبهم دومــا فى صراعهم لتحقيق مطامعهم التاريخية واهدافهم الواسعيــة . . من اجل هذا ظل اليهود على استعداد ابدا للتحرك ــ كرقاص الساعة ــ من اليمين الى اليسار ، ومن اليســار الى اليمين . . من اليمــين الى اليســار لاجتذاب تأييد مزيد من القوى الجماهيرية الغافلة التى تخدعهــا العبارات الطنانة وتبهر عقولها الشعارات البراقة ، ومن اليسار

الى اليمين للحصـــول على تأييد أصحاب القوة الحقيقية والذهب ورأس المال. ولنقرأ فى بروتوكولات حكماء صهيون :

« ان قوة الجمهور عمياء خالية من العقل المميز ، وانه يعير سمعه ذات اليمين وذات الشمال ــ ص ١١٦ ــ » . ولنقرأ : « فى ظل الاحوال الحاضرة للجمهور والمنهج الذى سمحنا له باتباعه ، يؤمن الجمهور فى جهله ايمانا اعمى بالكلمات المطبوعة وبالاوهـــام الخاطئة التى اوحينا بها اليه كما يجب ، وهو يحمل البغضاء لكل الطبقات التى يظن انها اعلى منه ، لانه لا يفهم اهمية كل فئة ، وان هذه البغضاء ستصير اشد مضاء حيث تكون الازمات الاقتصـــادية مستحكمة لانها ستوقف الاســـواق والانتاج .. وسنخلق ازمـــة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التى فى قبضتنا ، وبمساعدة الذهب الذى هو كله فى ايدينــا . وسنقذف دفعة واحـــدة الى الشوارع بجموع جرارة من العمال .. ولسوف تقذف هذه الكتل عندئذ بأنفسها الينا فى ابتهاج .. انها لن تستطيع ان تضرنا لان لحظة الهجوم ستكون معروفة لدينا ، وسنتخذ الاحتيـــاطات لحماية مصالحنا ــ ص ١٢٨ ــ » . ولنقرأ : « ستكون لنا جـــرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة ، من ارستقراطية وجمهورية وثورية ، بل فوضوية ايضا . وسيكون ذلك طالما ان الدســـاتير قـــائمة بالضرورة (!!) وستكون هذه الجرائد مثل الاله الهندى فشنو . لها مئات الايدى ، وكل يد ستجس نبض الرأى العام المتقـــلب . ومتى ازداد النبض سرعة فان هذه الايدى ستجذب هـــذا الرأى نحو مقصدنا ، لان المريض المهتاج الاعصاب سهل الانقيـــاد وسهل الوقوع تحت اى نوع من انواع النفوذ . وحين يمضى الثرثارون فى توهم انهم يرددون رأى جريدتهم الحزبية فانهم فى الواقع يرددون رأيتا الخاص ، او الرأى الذى نريده . ويظنون انهم يتبعون جريدة حزبهم على حين انهم ، فى الواقع ، يتبعون اللواء الذى سنحركه فوق الحزب ، ولكى يستطيع جيشنا الصحافى ان ينفذ روح هذا البرنامج للظهور ، بتأييد الطوائف المختلفة ، يجب علينا ان ننظم صحافتنا بعناية كبيرة ــ ص ١٦٣ ــ ١٦٤ » . ثم لنقرأ : « وبتأثيرنا كانت قوانين الامميين مطاعة كأقل ما يمكن . ولقد قوضت هيبة قوانينهم بالافكار التحررية التى اذعناها فى اوساطهم . وان اعظم

المسائل خطورة ، سواء أكانت سياسية ام اخلاقية ، انما تقرر فى دور العدالة بالطريقة التى نشرعها . فالامى القائم بالعدالة ينظر الى الامور فى اى ضوء نختاره لعرضها . وهذا ما انجزناه متوسلين بوكلائنا وبأناس نبدو ان لا صلة لنا بهم كأمراء الصحافة ووسائل اخرى ، بل ان اعضاء مجلس الشيوخ وغيرهم من اكابر الموظفين يتبعون نصائحنا اتباعا اعمى . وعقل الامى ــ لكونه ذا طبيعة بهيمية ممضة ــ غير قادر على تحليل اى شىء وملاحظته ، فضلا عن التكهين بما قد يؤدى اليه امتداد حال من الاحوال اذا وضع فى ضوء معين ــ ص ١٧٧ ــ ١٧٨ ــ » .



فى الايام التى سبقت حرب حزيران طافت شوارع باريس مظاهرات حاشدة قادها كبار زعماء اليسار ، وعلى رأسهم « سارتر » ، وسار معهم جنبا الى جنب كبار زعماء اليمين . . وانطلقت اصوات تطالب بمساندة اسرائيل ازاء الخطر الذى يهدد بمحق وجودها ، ورفعت لافتات تصب اللعنات على البرابرة العرب الذين تجمعوا على حدود الصحراء لاكتساح المركز الحضارى المتمثل باسرائيل . هكذا يغدو اليسار العظيم لعبة الصهيونية !! ولنقرأ فى بروتوكولات حكماء صهيون :

« اننا نسخر فى خدمتنا اناسا من جميع المذاهب والاحزاب من رجال يرغبون فى اعادة الملكيات واشتراكيين وشيوعيين ، وحالمين بكل انواع الطوبيات — اى المثاليات — ولقد وضعناهم جميعا تحت السرج — ص ١٤٥ » ! . ولنقرأ : « لا تتصوروا تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا ان نجاح « دارون » و (ماركس) و (نيتشه) — وغيرهم بطبيعة الحال — قد رتبناه من قبل . والاثر غير الاخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الاممى — غير اليهودى — سيكون واضحا لنا على التأكيد — ص ١٢٣ — ١٢٤ — » . ثم لنقرأ : « ويجب ان تكون حكومتنا محوطة بكل قوى المدنية التى ستعمل خلالها . انها ستجذب الي نفسها الناشرين والمحامين والاطباء ورجال الادارة والدبلوماسيين ، ثم القوم المنشئين فى مدارسنا التقدمية الخاصة — ص ١٤٢ » ! .

— ٣ —

فى الأيام التى اعقبت حرب حزيران ، والامة العربية تستعد لمجابهة اسرائيل بالتخطيط القائم على العقيدة والفدائية والايمـــان واليقين ، زار العراق احد اقطاب الفكر العربى اليســــارى ! ! الدكتور « نديم البيطار » حاملا معه بحثا تقرر ان يلقيه فى دار جميعة العلوم السياسية فى بغداد ، واذ جوبه ذلك بمعارضة شديدة من قبل عدد من المسلمين الحريصين على اسلامهم وقيمهم ومبادئهم ، فقد تصدت احـــدى الصحف اليومية لنشر البحث ... وبعـــد أن صبت الصحيفة لعناتها على قوى الرجعية واليمين (المتـــأخر) ، أعلنت أن قضايانا العربية لا يمكن أن تحلهـــا الا مبادىء تقوم على التزام قيم التقدم واليسار والتحرر المطلق .. ومن ثم جاء (البحث) ليؤكد انه حان الوقت لكى يسترد الانسان حريته التى اغتصبها الله قرونا طويلة من الزمن ، وانه لابد من اغتيال الله لكى يحصل الانسان على سعادته ، ويمارس حريته ، ويتقدم فى طريقه الى الامام .. وانه اذا كان ولابد ان يبقى الله موجودا فعليه ان يكف يده عن الاخذ بخناق الانسان والحجر على مصيره . . صدر الامر بتوقيف الجريدة عن الصدور أسبوعا واحـــدا !!. ولنقرأ فى بروتوكولات حكماء صهيون :

« ان كل الموازين البنائية القائمة ستنهار سريعا ، لاننا على الدوام نفقدها توازنها كى نبليها بسرعة اكثر ، ونمحق كفـــايتها — ص ١٢٥ — » . ولنقرأ : « ان كلمة (الحرية) تزج بالمجتمع فى نزاع مع كل القوى حتى قوة الطبيعة وقوة الله . وذلك هو السبب فى انه يجب علينا — حين نستحوذ على السلطة — ان نمحق كلمة الحرية من معجم الانسانية باعتبار انها رمز القوة الوحشية الذى يمسخ الشعب حيوانات متعطشة الى الدماء . ولكن يجب ان

نركز فى عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق فى النوم حينما تشبع من الدم ، وفى تلك اللحظة يكون يسيرا علينا ان نسخرها وان نستعبدها . وهذه الحيوانات اذا لم تعط الدم فلن تنام ، بل سيقاتل بعضها بعضا — ص ١٣٠ — » . ولنقرأ : « فى كل الازمات كانت الأمم — مثلها مثل الافراد — تأخذ الكلمات على انها افعال ، كأنما هى قانعة بما تسمع . ولذلك فاننا رغبة فى التظاهر فحسب — سننظم هيئات يبرهن اعضاؤها بالخطب البليغة على مساعداتهم فى سبيل (التقدم) ويثنون عليها . وسنزيف مظهرا تحرريا لكل الهيئات وكل الاتجاهات ، كما أننا سنضفى هذا المظهر على كل خطبائنا . وهؤلاء سيكونون ثرثارين بلا حد ، حتى انهم سينهكون الشعب بخطبهم ، وسيجد الشعب خطابة من كل نوع اكثر مما يكفيه ويقنعه — ص ١٣٥ — ١٣٦ — » . ولنقرأ : « وهذه (الخطوط الجديدة) للتفكير سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها من امثال الاشخاص الذين لا يستطاع الشك فى تحالفهم معنا ، ان دور المثاليين المتحررين سينتهى حالما يعترف بحكومتنا . وسيؤدون لنا خدمة طيبة حتى يحين ذلك الوقت . ولهذا السبب سنحاول ان نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة التى يمكن ان تبدو تقدمية او تحررية لقد نجحنا نجاحا كاملا بنظرياتنا عن التقدم فى تحويل رؤوس الاميين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية . ولا يوجد عقل واحد بين الاميين يستطيع ان يلاحظ انه فى كل حالة وراء كلمة (التقدم) يختفى ضلال وزيغ عن الحق ، ما عدا الحالات التى تشير فيها هذه الكلمة الى كشوف مادية او علمية . اذ ليس هناك الا تعليم حق واحد ، ولا مجال فيه من اجل (التقدم) . ان التقدم — كفكرة زائفة — يعمل على تغطية الحق ، حتى لا يعرف الحق أحد غيرنا نحن شعب الله المختار الذى اصطفاه ليكون قواما على الحق .. ومن الذى سيرتاب حينئذ فى أننا نحن الذين كنا نثير هذه المشكلات وفق خطة سياسية لم يفهمها انسان طوال قرون كثيرة — ص ١٦٨ — ١٦٩ — »

ولنقرأ : « وسيفضح فلاسفتنا كل مساوىء الديانات الاممية (غير اليهودية) . ولكن لن يحكم احد ابدا على دياناتنا من وجهة نظرها الحقة ، اذ لن يستطاع لاحد ابدا ان يعرفها معرفة شاملة نافذة الا شعبنا الخاص الذى لن يخاطر بكشف اسرارها — ص ١٧٠ — » . ثم لنقرأ : « اليوم تسود حرية العقيدة فى كل مكان .. سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جدا من الحياة ، وسيكون تأثيرها وبيلا سيئا على الناس حتى ان تعاليمهم سيكون لها اثر مناقض للاثر الذى جرت العادة بأن يكون لها — ص ١٨٧ » ! .

***

طيلة العقود الأخيرة والصحف تنثال ، وعشرات من الابحاث تؤلف ، ومئات من المقالات تكتب ، والوف من النشرات توزع ، ومئات الالوف من الكلمات تقال من اجهزة الاعلام ، تقوم كلها بتصنيف القوى الفعالة فى العالم الاسلامى الى يمينين ويساريين ، ويمينيين معتدلين ، وآخرين متطرفين ، ويساريين فى اقصى الشمال ، وآخرين فى الوسط . وهؤلاء منهم من يميل الى الشمال ، ومنهم من يميل الى اليمين .. الى آخر هذه التقاسيم التى مزقت ابناء الامة الواحدة الى فرق شتى ، واقامت بينها جدرانا مصطنعة لتعزل بعضها عن البعض الآخر ، ولتضرب بعضها بالبعض الآخر . والملاحظ ان كل تلك الصحف والمقالات والابحاث ونشرات اجهزة الاعلام كانت تتعمد وضع القوى الاسلامية فى اقصى اليمين بشكل عام ليس سوى أداة من ادوات التأخر والانحطاط والاستغلال والرجعية والاستبداد ، وآلة بيد الاستعمار والصهيونية والامبريالية ! ! يوجهونها لخدمة اهدافهم الخاصة . . وكل تلك الصحف والمقالات والابحاث والخطب والنشرات تعمدت أن ترسم للقوى الفعالة لوحة تتدرج الوانها من الظل القاتم الى النور الفاقع حيث يقف اليساريون فى بؤرة الضوء لينطلقوا بارادة التحرر والتقدم الى عالم العدل والاخاء والحرية والمساواة ، تاركين وراءهم كل قيم الدين والاخلاق ، جاحدين كل ايمان بالغيب وبما وراء العالم الملموس . ولنقرأ فى بروتوكولات حكماء صهيون حيث لا يتعذر مطلوب على طالب :

« كذلك كنا قديما أول من صاح فى الناس (الحرية والمساواة والاخاء) كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة في كل مكان حول هذه الشعائر ، وقد حرمت بترديدها العالم من نجاحه ، وحرمت الفرد من حريته الشخصية

الحقيقية — ص ١١٩ » . ولنقرأ : « لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا ان نجاح «داروِن» و « ماركس » و « نيتشه » قد رتبناه من قبل . والاثر غير الاخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الاممى (غير اليهودى) سيكون واضحا لنا على التأكيد . ولكى نتجنب الاخطاء فى سياستنا وعملنا الادارى ، يتحتم علينا أن ندرس ونعى فى أذهاننا الخط الحالى من الرأى ، وهو اخلاق الامة وميولها — ص ١٢٣ — ١٢٤ — » . ولنقرأ : « ان الصحافة التى فى ايدى الحكومة القائمة هى القوة العظيمة التى بها نحصل على توجيه الناس . فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور ، وتعلن شكاوى الشاكين ، وتولد الضجر احيانا بين الغوغاء . وان تحقيق حرية الكلام قد ولد فى الصحافة ، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة ، فسقطت فى ايدينا ، ومن خلال الصحافة احرزنا نفوذا ، وبقينا نحن وراء الستار — ص ١٢٤ — » . ولنقرأ : « وقد نشرنا فى كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدبا مريضا قذرا يغثى النفوس . وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب ، كى يشير بوضوح الى اختلافه عن التعاليم التى ستصدرها من موقعنا المحمود — ص ١٧٠ — ١٧١ » . ولنقرأ : « قبل طبع اى نوع من الاعمال سيكون على الناشر او الطابع ان يلتمس من السلطات اذنا بنشر العمل المذكور ... الأدب والصحافة هما اعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ، ولهذا السبب ستشترى حكومتنا العدد الاكبر من الدوريات . وبهذه الوسيلة سنعطل التاثير السيء لكل صحيفة مستقلة ، ونظفر بسلطان كبير جدا على العقل الانسانى .. وستظهر الصحف التى ننشرها كأنها معارضة لنظراتنا وآرائنا ، فتوحى بذلك الثقة الى القراء ، وتعرض منظرا جذابا لأعدائنا الذين لا يرتابون فينا ، وسيقعون لذلك فى شركنا ، وسيكونون مجردين من القوة — ص ١٦٢ — » ثم لنقرأ اخيرا : « اننا نقصد ان نظهر كما لو كنا المحررين للعمال ، جئنا لنحررهم من هذا الظلم حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين ، ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعا لمبدأ الاخوة والمصلحة العامة للانسانية ، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية — ص ١٢٧ — » ! .

ومن عجب ان نجد لعبة اليمين واليسار تظهر بوضوح اول ما تظهر فى اتون (الثورة الفرنسية) التى اشرفت الصهيونية على صناعتها وصياغتها والتمهيد لمقدماتها وتحديد نتائجها النهـــــائية كما اكد اليهود فى بروتوكولاتهم (١) ، فـــكان اولئك الذين يجلسون فى البرلمان على المقاعد اليسرى اكثر (تطـــرفا) من اولئك الذين اتسموا بالرجعية وجلسوا على المقاعد اليمنى . واذ لم يكن لدى اليســـاريين قاعدة عقائدية يستندون اليها فى تخطيطاتهم الثورية ، فقد اضبحت مبادئهم بالتدريج مجموعة من العواطف العاصفة ، والانفعالات المجنونة ، وردود الفعل غير الواعية ، والقفزات السريعة غير الهادفة ، كيف لا ، وقد عاش هؤلاء صراعا لا يرحم بين اجنحتهم المتطاحنة ؟ : « فمنذ وقعت احداث الثورة الفرنسية الاولى ، بدأت القوى الثورية تتطاحن فى ضراوة من اجل ان تكون لكل منهـــــا

---

(١) جاء فى البروتوكول الثالث ما يلى : « تذكروا الثـــورة الفرنسية التى نسميها (الكبرى) . ان أسرار تنظيمها التمهيدى معروفة لنا جيدا لانها من صنع أيدينا . ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدما من خيبة الى خيبة — ص ١٢٩ — » . وجاء فى البروتوكول الرابع ما يلى : « كل جمهورية تمر خلال مراحل متنوعة : أولاها فترة الأيام الاولى لثورة العميان التى تكتسح وتخرب ذات اليمين وذات الشمال . والثانية هى حكم الغوغاء الذى يؤدى الى الفوضى ويسبب الاستبداد . ان هذا الاستبداد من الناحية الرسمية شرعى . فهو لذلك غير مسؤول . وانه خفى محجوب عن الأنظار ولكنه مع ذلك يترك نفسه محسوسا به . وهو على العموم تصرفه منظمة سرية تعمل خلف بعض الوكلاء ، ولذلك سيكون أعظم جبروتا وجسارة وهذه القوة السرية لن تفكر فى تغير وكلائها الذين تتخذهم ستارا ، وهذه التغييرات قد تساعد المنظمة التى ستكون كذلك قادرة على تخليص نفسها من خدمها القدماء الذين سيكون من الضرورى عندئذ منحهم مكافآت أكبر جزاء خدمتهم الطويلة — ص ١٣٠ — ١٣١ — » .

اليد العليا فى الحكم ، فأعدم الملك لويس السادس عشر بالمقصلة فى كانون الثانى ١٧٩٣ ثم قبض كل من «دانتون» و «روبسبيير» على زمام الحكم ، وتربعا على راس (جمعية الامن العام) وبدأ عهد الرعب !! فمن آذار ١٧٩٣ الى العاشر من حزيران ١٧٩٤ أرسل الى المقصلة ١٢٥١ شخصا من إهل باريس وحدها ! . وفى اليوم العاشر من حزيران نفسه اصدر «روبسبيير» قانونا بمنع المحكوم عليهم بالاعدام من حق المحاكمة القانونية .

ومنذ ذلك اليوم وحتى السابع والعشرين من تموز التـالى أعدم ١٣٧٦ شخصا من ضمنهم « دانتون » رفيق « روبسبيير » و (كاميل ديمولان) (الذي كان المحرض الاول لاهالى باريس على اقتحام سجن الباستيل واعلان الثورة) . وراح الرفيقان يضرعان فى طلب الرحمة وهما فى طريقهما الى المقصلة . ويروى التاريخ ان « كاميل ديمولان » الذى كان محاميا وزميلا « لروبسبيير » فى كلية (لويس لوجران) كما كان صحفى الثورة الناطق بلسانها ، اقتيد الى المقصلة مع «دانتون» وهو يصرخ : « ايها الناس ، ايهـا المساكين ! ان خدمكم المخلصين هم الذين يضحى بهم الآن ! لقد كنت انا عام ١٧٨٩ أول من ناداكم الى حمل السلاح ! لقد كنت انا اول من هتف بالحرية ! اما جريمتى الواحدة ، جـريمتى التى اتهمونى بها فكانت : الرحمة بكم ! » . وقد اندفعت الاحداث فى الثورة الفرنسية ، بعدذلك ، مجنونة ملتاثة تتخذ مجرى ملتويا عنيفا خطيرا ! . ثم كان صبـاح ٢٦ تموز ١٧٩٤ عندما القى «روبسبيير» قرارا بالغ الخطورة والتطرف فى (المجلس الوطنى) اشاع الرعب فى قلوب الجميع حتى القى القبض عليه هو نفسه آخر الامر ، واعدم مع زميله « سانت جوست » تحت سكين المقصلة ! » (١) .

راحت مذاهب اليسار ــ بعد ذلك ــ تتقاذفهـا الاهواء الاوربية ذات اليمين وذات الشمال ، الى ان جاء «كارل ماركس» المبعوث اليهودى الذي قال عنه الحاخام اليهودى « لويز برونس » احد اقطاب الصهيونية الحديثة : « ان (كارل ماركس) حفيـد الحاخام (مردخاى ماركس) كان فى روحه وفى اجتهـاده وعمله

(١) جاذبية صدقى ، لمحات من المسرح العالمى ، سلسلة اقرأ ص ٣٧ ــ ٣٨ .

ونشاطه ، وفى كل ما قام به واعد له ، فكرا واسلوبا ، اشد اخلاصا لاسرائيل من الكثيرين ممن يتشدقون اليوم بأدوارهم فى مولد الدولة اليهودية » .

جاء . . واراد ان يبلور اكثر المفاهيم (يسارية) على اساس (علمى !) كما يدعى هو وانصاره ، وكما يؤمن بذلك خصومه (الاشتراكيون) على مختلف اجنحتهم اليسارية المبتلاة بمركب النقص العقائد ى تجاه الماركسية . واصبح يسار « ماركس » هو الهدف الاعلى لجميع اليسارين الاشتراكيين اميين كانوا ام غير اميين . وازاء كله كانت مجموعة القوى الرجعية فى اوربا تقف بصلافة على خط اليمين ، ودونما عقيدة ايضا ، تدافع عن النظم والمؤسسات التى صممتها الأوضاع الملكية الفاسدة القديمة ، والكهنوت المسيحى الذى لا يرحم .

وهكذا يتبدى لنا بوضوح كيف أن بدايات الصرع بين مفهومى النظم والمؤسسات التى صممتها الأوضاع الملكية الفاسدة القديمة ، عقائديا ايجابيا عميق الجذور فى كيان الانسان ، بعيد النظر فى آفاق الكون والعالم ، وانما كان اشبه بمجموعة من التناقضات والمصادمات التى شابتها العاطفة المستعرة وردود الفعل الآنية ، اكثر مما وجهها العقل المصمم المدرك البصير ، الامر الذى ادى الى تشبيب كل من اليمين واليسار بعدد من الاخطاء الخطيرة التى لا تنسجم ودور الانسان فى الارض ، وسعادته وتقدمه ، تلك الاخطاء التى حكمت وتحكم وستحكم سائر النظم والمجتمعات التى تختار ان تسلك طريق اليمين او طريق اليسار .. ما دامت كل الطرق تؤدى الى بروتوكولات حكماء صهيون !! ..

* * *

— ٩ —

من عروضنا السابقة ، يبدو واضحا ان معظم قوى اليسار — ان لم تكن كلها — ليست سوى الثور الذى تمسك الصهيونية قرنيه : « سوف نقول حق الحرية وواجب المساواة ، وفكرة الاخاء وبها سنمسك الثور من قرنيه — ص ١٤٤ — » !.

ان لعبة اليمين واليســـار ليست سوى (قوس قزح) تبهر الناظرين الوانه المائية المتداخلة ، وتشدهم تقسيماته التى لا تطالها يد ، عن الرؤية الحقيقة لابعاد كل لون .. ومن ثم نمتنع عن التعليق مكتفين بالجواب القاطع الذى قدمه لنا حكماء صهيون ، اولئـك الذين صنعوا اللعبة ، وجلسوا فى المقاعد الخلفية ووراء الكواليس ينتظرون انفجار المأساة .. اما اولئك الذين خدعتهم اللعبـة ، فى مشـــارق الارض ومغاربها ، فقد أمســكوا — كما يقول حكماء صهيون — كالثــور من قرنيه ، وكما يقول حـكماء صهيون : « وضعوا جميعا تحت السرج » ! .

***

الإمبرياليـة ولعبة اليمين واليسار

« ولكى نغرى الطامحين الى القوة بأن يسيئوا استعمــال حقــوقهم ، وضعنا القوى : كل واحدة منها ضد غيرها ، بأن شجعنا ميولهم التحررية نحو الاستقلال ، وقد شجعنا كــل مشروع فى هذا الاتجاه ووضعنا اسلحة فى ايدى كل الاحزاب ، وجعلنا السلطة هدف كل طموح الى الرفعة .وقــد اقمنا ميادين تشتجر فوقها الحروب الحزبية بلا ضوابط ولا التزامات . وسرعان مــا ستنطــلق الفوضي ، وسيظهر الافلاس فى كل مكان .. »

بروتوكولات حكماء صهيون

من البروتوكول الثالث . . .

ان بدعة تقسيم قوى العالم الثالث الى يمين ويسار ، وما بينهما من درجات ، يعبر عنها باليمين المتطرف ، اليمين المعتدل ، اليمين المتحرر ، اليسار المعتدل ، اليسار المتطرف ، اقصى اليسار ، اليسار العلمى (الماركسى — اللينينى) .. الخ .. هذه البدعة التى صنعها حكماء بنى صهيون ، وعمل المغفلون وذوو المصالح الخاصة على ترويجها وتطبيقها ، اخذت تسرى مسرى النار فى الهشيم ، فى كل خبر او تعليق سياسى ، وفى كل تحليل او بحث (عقائدى) ! وخلال النشرات والفعاليات الاعلامية ، وعبر الحوار والمناقشات بين شتى فئات العالم الثالث المنكود ! .

يمين ويسار .. وبينهما درجات احالت كل حزب او كتلة سياسية الى مجموعة مضحكة من الفرق المتناحرة المتطاحنة ، لا لشىء الا لان بعضها يمينى ، والآخر يسارى ، او ان بعضها يسارى متطرف ، والآخر يسارى معتدل . حتى لقد نسى هؤلاء فى غمرة تطاحنهم تحت هذه الشعارات الفارغة — ان كانت هنالك فروق !! .

وسلوا ان شئتم اية مزقة من هذه المزق المعلقة على اجنحة اليمين واليسار ، وما بينهما من درجات ، سلوها عن المعالم الرئيسية والقيم العقائدية التى تميزها عن الاخريات .. سلوها عن دوافع الصراع العميقة واسباب التطاحن بعيدة الجذور .. وسوف لن تجدوا ايما جواب مقنع يوضح لكم لماذا غدا هؤلاء فى اليمين واولئك فى اليسار ؟ .

ان الحقيقة التى لا مراء فيها هى ان جميع هذه المزق لا عقائد لديها . . انها جميعا لا تنبثق عن وجهات نظر اصيلة مستقلة ومتميزة ، فضلا عن فلسفة لها امكانية التصدى لحل كل الالغاز والمشاكل التى تجابه الانسان فى الكون والحياة . . انها جميعا لا تمتلك امكانية العطاء الفكرى الاصيل . . ودعوا ايا منها تتكلم او تكتب . . انها ستتوقف بعد النطق بكلمات معدودات ، وسوف تجف اقلامها بعد كتابة سطور فحسب . . ومن ثم يبدأ اللف والدوران فى الحلقة المفرغة التى لا مخرج منها . . وتنثال الاصطلاحات المجترة ، متراصفة جامدة ميتة لا حياة فيها ، كشواهد القبور . . لا تحرك العقل والوجدان ، ولا تثير

فى الفكر طاقته الحركية التى اودعها الله فيه ، والتى تستطيع بالعقيدة الحية ، أن تفتح بصيرة الانسان على الملكوت ، وتتصدى لحل ألغاز الوجود والعالم ، وتضع للبشرية ـــ استنادا الى هدى الله ووحيه ـــ معالم الطريق .

اننا لو طالعنا كل ما خطته اقلام هـــذه المزق من اليمين الى اليسار ، وكل ما قالته اجهزة اعلامها ونشراتها ومحـــــاوراتها ، فسوف لن نجد الا هذا التكرار الممل ، وهذا الموت ، وهذه الاتكالية السلبية على المصطلحات ، وهذا الاستخدام المضحك للعبارات التى فقدت معناها ، لانها لم تتحول فى يوم من الايام الى حياة حية متحركة تفرض معناها على العقل والوجدان ! . والا فأى معنى توجيه كلمة (التقدمية) ، ونحن نرجع كل يوم خطوات الى الوراء فى نظر العالم الذى يستشرق من بعيد ، وهو يتنفس الصعداء ، لتخلينا عن كل القيم والأهداف التي صنعت وجودنا وصاغت مصيرنا ، وتقدمت بنا ـــ عبر قرون طويلة ـــ خطوات عملاقة الى الامام : عقيدة ودولة وحضارة وارضا وشخصية متميزة مستقلة ؟ ! وما معنى (الثورية) ونحن لا نستطيع ان نصلت سيوفنا الا على رقاب اخواننا وابنائنا .. ولا نعمل قتلا وذبحا وفصلا للرؤوس عن الاجساد ، الا فى ابنـــاء قومنا وعشيرتنا ؟ فاذا ما جـــد الجـــد لكى تتحرك الأيدى لترفع السيوف بوجه عدو دخيل أو يهودى مغتصب فسرعان ما ترتجف الأيدى ، وتنشل السواعد ، وينعكس معنى « الثورية » فيغدو هزيمة منكرة لا صلة لها بالمعنى الأصيل للثورة ، اللهم الا فى هياجها وجموحها وجريها المجنون ؟ !.

ثم ما معنى (الحرية) ويهود تضع اقدامها على القلب الخفاق لوطن العروبة وتشد قبضتها على مساحات استراتيجية واسعة لثلاث دول عربية ، فضلا عن فلسطين ؟ . ما معنى (الحـــرية) والكبت والارهاب فى الداخل قد احال (الانسان العربى) الى قطع شطرنج لا تتحرك الا بالاصابع التى توجهها من فوق وتلعب بمصائرها بعيدا عن ارادتها . . واذا ما ارادت ان تتحرك وجدت فى وجدانها فراغا قاسيا ، خلفه الكبت ، وفى عقيدتها نضــــوبا محزنا أوجده الارهاب .. ولم تستطع بعد هذا أن تندفع ، بقوة وتصميم ، لتصنع حريتها الحقيقية ، لانها مسلوبة الحرية من اعماق الاعماق ؟ ! .

.. وكثيرات هى المصطلحات التى ترصفها كتل اليمين واليسار فى العالم الثالث ، وكثيرات ايضا عمليات السطو والسرقات من بطون مراجع العلوم السياسية ، والمؤلفات الغربية ، ومذكرات قادة اليمين واليسار التى تنهمر ترجماتها على الاسواق .

هذا الخواء المحزن ، وهذا الدوران فى الحلقة المفرغة ، وهذه المعطيات الميتة ليست سوى نتائج حتمية لفقدان كل كتل اليمين واليسار العقيدة الاصيلة التى تبعث اليقين فى كينونة الإنسان ، وتحرك فكره ، وتفتح وجدانه على قضايا امته ومصيره .. العقيدة التى تنفخ روح الحياة فى كل حرف وكل كلمة ، وتحيل الرموز والمصطلحات الى تشخيصات حية ، وتخلصنا من هذا الارهاق الفكرى والسأم النفسى اللذين اصابتنا لعنتهما خلال العقود الاخيرة حيث ظللنا نبحث ــ دون جدوى ــ عن معانى الرموز والمصطلحات .

ولنا ان نتساءل : ما دامت (العقيدة) غائبة عن مبررات الصراع بين كتل اليمين واليسار ، فلماذا حدث هذا التقسيم اذن ؟ وعلام هذا التمزق والتطاحن والصراع ؟ . ليس هناك ــ والحالة هذه ــ غير المصالح المحدودة ، والاهداف القريبة ، والرغبة فى الوصول والاستئثار .. وليس هنــاك غير الشوق العميق لتسلم المناصب واجهزة الحــكم ــ وما وراءها من متع وترف، وملذات وثراء ــ مهما كان الثمن . ومن ثم تجرى ــ خفية وظهورا ــ تنقلات دائمة بين اجنحة اليمين واليسار اذا ما احس بعض افراد هؤلاء ان الجناح الفلانى او المزقة الفلانية قد غدت قاب قوسين او ادنى من الوصول الى اهدافها . وهنا يتلقت الاستعمار ، وتتلفت الصهيونية ، فلا يجدان ــ وهما اللذان صنعا اللعبة ــ فرصة اروع ولا مناسبة ايسر من هذه لتحقيق مصالحهما الواسعة واهدافهما القريبة ، وجنى ثمار كفاحهما الخبيث الموصول من اجل السيطرة على مقدرات العالم الثالث ، بمجرد التقرب من هذه الكتلة او تلك ومصافحة هذا الجناح أو ذلك ، عن طريق الاغراء والترغيب .. وما اكثر الذين ينساقون ــ كقطع الفلين التى يسوقها التيار ــ الى مصير مفتوح .. وعالم فيه المناصب والاموال والنساء .

وخلال هذا كله — او قبله — تقوم صحف الاستعمار الجديد والصهيونية ، واجهزتهما الدعائية ، بحملة تهيئة واسعة النطاق تستهدف تعميق هذه الانشقاقات وتأكيد فكرة اليمين واليسار في اذهان المغفلين والطموحين على السواء ! من ابناء العالم الثالث المنكود . .

ان الاستعمار الجديد والصهيونية يمتلكان الآن (قيثارا) رائعا فيه من الاوتار ما يتيح لهما عزف مقطوعة موسيقية رائعة لابناء العالم الثالث، فينام من ينام ، ويحلم من يحلم في اجواء (رومانتيكية) رائعة يبعثها اللعب البارع على اوتار اليمين واليسار .. قطعة موسيقية تنساب — بلا وعي او ارادة — الى اعمق اعماق الانسان المتعب في طول بلاد العالم الثالث وعرضها . . وفي احلام هؤلاء واغفاءتهم يكون الاستعمار الجديد قد اوجد اجهزة حكم جديدة و (ثورية) تلعن (الامبريالية) وتتنكر للاحسان ! .. وفي احلام هؤلاء وغفوتهم تكون الصهيونية قد ثبتت اقدامها في الاراضي الجديدة التى انساحت اليها بعد حرب حزيران . . وتكون القدس ويكون المسجد الاقصى قد غدوا هيكلا لاقامة صلوات يهود !..

يمين ويسار .. بين ابناء الامة التى اراد لها الله ان تكون (الامة الوسط) التى تتميز بشخصية مستقلة الملامح ، واضحة السمات ، وتصبغ بصبغة الله . . يمين ويسار ، بين ابناء العقيدة التى اعطت الانسان الفرد يقينه الفكري وامنه الذاتي ، وقدمت الحلول المنطقية لقضايا وجوده ومصيره ، والتى اعطت الامة حريتها الحقيقية وعدلها ووحدتها وتكافلها وسعادتها وتقدمها . .

ان البدع والكلمات الجوفاء ، والشعارات الفارغة ، تجد رصيدها دائما لدى المخدوعين الذين اغشاهم وهج الزيف ونحر في وجدانهم السوس .. ان قطعانا كبيرة من ابناء امتنا ضائعة ، حائرة ، تائهة .. لانها تعاني في نفوسها خواء محزنا ، وفي عقولها فراغا مخيفا .. ثم يجيء ذوو المطامح القريبة والمصالح التافهة المحدودة لكي يعطوا هذه الجماهير امتلاء زائفا من يمين او يسار . . وسرعان ما تركض هذه القطعان البشرية خلف المنادين من كل مكان لكي تصطدم اخيرا بالحصاد المرير ..

والقوى الاسلامية هى القوى الوحيدة التى لا يمكن ان تدخل هذه اللعبة التى يحرك الاستعمار والصهيونية دماها بخيوط خفية معقدة محكمة ، لان الاسلاميين يؤمنون ابتداء ان من العبث والخطأ الصريح تقسيم قوى العالم الى يمين ويسار ، اذ لا منطق لهـذا التقسيم ، وهو فى مداه المعقول اغفال لدور العامل الروحى فى حركة التاريخ وفاعلية الانسان فى العالم المادى فحسب ، الامر الذى لا يقره الاسلام الذى يقوم تقسيمه للعالم على حقيقة وجود المعسكرين اللذين لا يمكن ان يلتقيا يوما : معسكر الايمان ومعسكر الكفر ، والفئتين البشريتين اللتين لا يمكن أن يتصافحا يوما : حزب الله وحزب الشيطان ، والمجتمعين اللذين لا يمكن ان يتداخلا يوما : المجتمع الاسلامى والمجتمع الجاهلى .. وليس بعد الايمان الا الكفر ، ولا بعد الحق الا الضلال ، ولا بعد الاسلام الا الجاهلية .. ولا يبقى بعد هذا التقسيم الواضح ، والمنطق المستقيم ، يمين ولا يسار ، لأنه لا يكمن أن يجمع اى قطاع منهما فى وقت واحد بين الايمان والكفر والحق والضلال والاسلام والجاهلية ! .

انه لا مفهوم اليسار ولا اليمين يعنيان — لدى الاسلاميين — شيئا اذا كان اليسار كاليمين يحتوى على الكثير الكثير من عناصر وقيم الشر المنكر التى لا تنسجم مع الطبيعة الانسـانية ، ومع المفهوم الكونى للتطور . فالمقياس ابدا هو خير الانسان ، وتحقيق عبوديته لله ، وتحرير وجدانه من اذلال الطواغيت البشـرية والمادية ، والتقدم الواعى به الى حياة سعيدة منسجمة مع نواميس الكون ، مشرقة بالقيم الحقة ، حافلة بالعدل الاجتماعى باعمق مفاهيمه واكثرها شمولا .

ان الثورة فى اى جزء من اجزاء الوطن الاسلامى لابد ان تسلك احد طريقين : الاسلام ، وحينئذ يفتقد اصطلاحا (اليمين) و (اليسار) معناهما ازاء قاعدة عقائدية ، وتصور عميق شامل يستهدف (خير) الانسان فردا وجماعة . او ان تسلك اى طريق وضعى علمانى آخر ، فحينئذ يستوى اليمين واليسار ، وحينئذ لابد أن تتعرض الثورة للذوبان فى غمار التجربة الغربية ، يمينية

كانت ام يسارية ، فتفقد بذلك شخصيتها واستقلالها واصـــالتها ، ومن ثم يبرز اصلاحا (اليسار) و (اليمين) كهدفين بحد ذاتهما ، دون التفات الى ما يحوى كل منهما من عناصر وقيم سلبية جاءت نتيجة عدم استشراق عقائدى لمشاكل الانسان والعالم ، بل ـــ كما حدث فى الغرب ـــ نتيجة لمجموعة من العواطف وردود الفعـــل والانفعالات . ومن الرؤى التاريخية المأسورة بقيود البيئة والمكان والزمان : (افحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) ! .



الكادحون ولعبة اليمين واليسار

« عضوية الحزب الشيوعى تعنى
أن العضو ينتمى الى طبقة ممتـــازة
ذات امتيـــازات ، وهكذا يتجمـــع
فى لب الحزب أقوى المستثمرين » !.

ميلوفان دجيلاس

الطبقة الجديدة

« وكيف يعنينى امر الرعية اذا
لم يمسنى ما يمسهم ؟ » ! .

عمر بن الخطاب

من مهازل الدعوات الوضعية وتناقضات احزابها ، ان قادة بعض هذه الاحزاب اليسارية ، واليســـارية جدا ! يمتلكون فى الوقت ذاته القصور والاموال والسيارات والاقطاعات الواسعة ولكنهم — نظريا — يهتفون للعمال والفلاحين ولليسار الجذرى العظيم صاحب المصلحة الحقيقية فى الثورات والانقلابات التى رفعتهم الى سدة الحكم والمسؤولية بكل ما فيها من ثقل وعناء وسهر طويل من اجل حماية حقوق وآمال الطبقات الكادحة المسحوقة .. ومما يزيد من تأكيد يسارية هؤلاء القادة انتماء عدد من اصحاب الملايين اليهم وتصــفيقهم ، فى اجتماعاتهم الحافلة وخطبهم البتراء ، للمنجزات العظيمة التى شرعت على الورق لكى تنصف المظلوم من الظالمين ، حتى ان بعض هؤلاء الملاك اليساريين الكبار غدوا فى طرفة عين (يســــــاريين اكثر من اليسار) وكانوا من قبل (ملكيين اكثر من الملك) ! .

ان المشكلة فى اساسها مشكلة (اخلاق) ، فالمبادىء التى تأتى من فوق ، من خارج كيان الانسان ، ووجوده وفطرته ، دون ان تجد سندا من العقيدة والاخلاق والضمير فى اعمـــاق الانسان نفسه ، لا تفعل فعلها فى تحويل ذلك الانسان الى تعبير حى عن مبدئه ، الى وجود عقائدى متحرك متوحد الذات بين الفكرة والتجربة ، بين الذات والموضوع ، بين الوسيلة والهدف .. ومهما كانت تلك المبادىء الفوقية الخارجية جذرية ، وهما ادعت من قرب الى اليسار ورفضت اليمين ! فانها لابد وان تفتح ابواب على مصراعيه لحدوث التناقض الذى لابد وان يجىء عاجلا او آجلا ! . وهكذا تبرز الى حيز الوجود دوما قيــــادات ثورية تعانى الازدواج المحزن بين ما تنادى به وما تفعله ، بين ما تقوله وما تسلكه .. قيادات تقف فى اقصى اليمين عمليا وتنادى بأقصى اليسار فى مجال النظريات والخطب والتصريحات والاحلام ! .

وهاكم — ان شئتم — بعض الحقائق الموجزة عن الازدواجية الاجتماعية التى تعانيها اشد اليساريات فى العالم المعاصر علميـــة وثورية ! (الماركسية اللينينية) نقتطفها من كتاب (الطبقة الجديدة) « لميلوفان ديجيلاس » القطب الشيوعى اليوغوسلافى الذى

لعب دورا عظيما فى دفع الكتلة الشيوعية الى الامام ، والرجل الثانى فى يوغوسلافيا بعد « تيتو » ، ذلك البلد الذى حكمته الشيوعية عشرات السنين سعيا وراء مجتمع يسوده العدل الاجتماعى وفق اشد المذاهب عدالة وانسانية ! « ميلوفان دجيلاس » الذى دخل الحزب الشيوعى رسميا عام١٩٣٢ وسجن بعد سنتين ، وما لبث ان قاد الثورة على الاحتلال الالمانى الى جانب « تيتو » عام ١٩٤١ . وفى عام ١٩٥٤ بدأ خلافه مع « تيتو » من اجل مطالبته باتباع النهج الاشتراكى الديمقراطى فى الحكم . وقد ادى به هذا المواقف الى ان يحكم عليه بالسجن فى السنة التالية مع وقف التنفيذ ، لكنه ما لبث أن اعتقل ثلاث سنوات بسبب انتقاده سياسة « تيتو » تجاه ثورة المجر ، وفى تلك الفترة الف كتابه الشهير (الطبقة الجديدة) كتحليل موضوعى للنظام الشيوعى فى واقعه التطبيقى ، ومن اجل كتابه هذا حكم عليه بالسجن تسع سنوات اخرى .

يقول « دجيلاس » فى كتابه : (البيروقراطية السياسية) : الشيوعية تستخدم الاملاك المؤممة وتتمتع بها وتتصرف فيها — ص ٦٧) . ويقول (عضوية الحزب الشيوعى تعنى ان العضو ينتمى الى طبقة ممتازة ذات امتيازات ، وهكذا يتجمع فى لب الحزب اقوى المستثمرين — ص ٧٠) . ويقول : (ان علاقة الشيوعيين مع الدولة او الحكومة هى علاقة تعبد وثنى (!!) فهم يتصرفون بالدولة او الحكومة كما لو انها ملكهم الخاص — ١١٦) . ويقول : (ان انظمة الحكم الشيوعية هى شكل من الحرب الاهلية الخفية بين الحكومة والشعب — ص ١٢١) . ويقول : (الانتخابات الشيوعية سخيفة . وصفها اللورد اتلى ببراعة اذ قال عنها انها « سباق يجرى فيه حصان واحد » ص ١٢٨) . ثم يقول : (البرلمانات هى عبارة عن اضرحة للنواب الذين تتألف منهم — ص ١٣٠ —) .

هذا عن اليسار الأممى العلمى ! فماذا عن اليساريات القومية التى تعرج فى منتصف الطريق ، لاهثة وراء المجتمع الذى تسوده الاشتراكية ، حيث لا ظالم ولا مظلوم ؟ . حقائق وتناقضات كثيرة كثيرة ، لا يحصيها عد ، ولا يمكن حصرها فى عرض سريع

كهذا . . تناقضـــات شهدناها جميعا بأم اعيننا منذ ان ابتلينا بلعبة اليسار واليمين ، حيث يقف اليساريون فى قمة اجهزة الحـــكم والسلطان يستغلون ويتنعمون ويثرون ، ويتحولون بقدرة قادر الى طبقة راسمالية من نوع جديد يقترن بارهاب اشد ، وكبت اقسى ، وظلم اسود تضيع فى غمراته صيحات المظلومين ، تضيع لان اليسار ــ رغم طبقيته واستغلاله وتنعمه وثرائه ــ يحكم باســم المظلومين والكادحين ! .

الاسلام ، ذلك الدين القيم ، هو العقيدة الوحيدة التى تغرس مبادئها فى أرض حية من الضمير والاخــلاق . . كل انسان مسلم ــ بحق ــ هو عقيدته الحية تمشى على الارض وتتفاعل مع الحياة ، وتتحرك فى الواقع المعاشى . . ليس ثمة مجال للتناقض بين المبادىء والاشخاص . . بين القول والعمل . . بـ ين التوجيه والتنفيذ . . بين الفكرة المقولة والتجربة المعاشة . . ان ثمة صـــورا رائعة . . مجيدة . . تمر امامى الآن عن اولئك المسلمين الرواد الذين لم يعرفوا اليمين ولا اليسار ، ولكنهم عرفوا كيف تكون العدالة الاجتماعية بأعمق مفاهيمها واسمى اخلاقياتها دونما اى تناقض او ثنائية بين قيم العقيدة وتصوراتها ، وبين الرجال الذين يحملونها والذين بايعوا الرسول العظيم على تحمل مسؤوليتها حتى النهاية . .

كثيرون من الصحابة الكبار كانوا فى جـــــاهليتهم يملكون القصور والاموال والضياع ، وعندما اعلنوا اسلامهم تنازلوا بــكل تجرد عن قصورهم واموالهم وضياعهم ليعيشوا فقراء محرومين من اجل قضيتهم الكبرى . . كثيرون منهم بلغوا اسمى المناصب ، ولكنهم لم ينسوا يوما الامة المسلمة ، ولم يغفلوا لحظة ، عن تجاربها الزاخرة بالسراء والضراء . . ها هو ذا ابو بكر الصديق (رضى الله عنه) ينفق فى سنى الدعوة الاولى فى مكة ثمرة كدحه وكده عبر عمر حافل نشط طويل . . اربعين الف درهم . . لا يستبقى منها درهما واحدا . وعندما يسأله الرسول صلى الله عليه وسلم : « وماذا ابقيت لعيالك ؟ » يجيب الصديق : « ابقيت لهم الله ورسوله . . » . وها هو الصديق نفسه ، وقد اختارته الامة ليكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخرج يوما فاذا بجارية تقول : « اليوم لا تحلب لنا

منائح دارنا »! . ذلك ان ابا بكر كان يحلب لها ابلها من قبل ، وهو فرد من عامة المسلمين ، اما وقد شغلته الخلافة فلن تجد المرأة من يقوم بهذه المهمة ! . ولكنه يسمعها فيقول : « بلى والله لاحلبنها لكم ! فكان يحلبها لها كل يوم ! » .

وها هو ذا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لا يبيح لنفسه — بعد تسنمه الخلافة — من الطعام والكساء اكثر مما لاى فرد من عامة المسلمين .. فلما جاء عام الجوع ، واصاب المسلمين القحط ، اقسم الا يذوق السمن حتى يفتح الله على المسلمين . . وبقى عامه على هذا الحرمان ، والمسلمون يرون حاله فيشفقون عليه من الجهد الذى يبذله حتى بسر وجهه من اكل الزيت ، مع قلة الطعام الذي يتناوله ، ورداءته ، فيرجونه ان يرأف بنفسه ، ويبيحون له — عن طيب خاطر منهم — ان يأخذ من بيت المال ما يصلح به شأنه .. ولكنه يرفض ذلك ، ويصر على رفضه الحاسم قائلا : وكيف يعنينى امر الرعية اذا لم يمسنى ما يمسهم ؟ . يا لها من كلمات لا يفسرها الا تصور موقف عمر نفسه وهو يعانى مع امته من اجل ان يعمق اهتمامه بمآسيها واحزانها ..

وهذا عثمان بن عفان (رضى الله عنه) يرى المسلمين وقد انقطعت مواردهم فى بعض ايام ابى بكر ، ووقعوا فى ضائقة اقتصادية جائحة . . ثم ما تلبث قافلته ان تجيئه ببضائع جمة كان قد استوردها من الشام ، فيسرع اليه التجار فى المدينة ليتقدموا اليه بعرض سخى ، ان يربحوه بالدرهم درهمين ، فيردهم عثمان قائلا : اعطيت اكثر من ذلك ، فيعرضون عليه اربعة دراهم ثم خمسة ، ربحا صافيا للدرهم الواحد ، فيردهم فى كل مرة .. قالوا : يا ابا حفص ، ما سبقنا اليك احد ، ونحن كل تجار المدينة ! فيقول : ان الله اعطانى عشرة امثالها .. ثم يقسم ليتركنها خالصة للمسلمين يرد بها عنهم غائلة الجوع .. ويقول الحسن البصرى عن عثمان الخليفة : « كان عثمان يطعم الناس طعام الامارة ويأكل الخل والزيت » ! .

صور كثيرة متلاحقة تمر امامى عن مئات من المسلمين الرواد ، وقفوا مواقف كهذه ، وصمموا على البقاء حتى النهـــاية مع ابناء الامة التى منحتهم ثقتها ومقدراتها .. صور كثيرة ، بقدر صـــور التناقضات المضحكة التى شهدتها تجارب اليساريات ، علمية وغير علمية ! .. واكثر بكثير ..

على يد من تربى هؤلاء الرواد العادلون ، وممن قبسوا النور الذى صاغوا على هديه تجارب حياتهم وسلوكهم المتوحدة حتى الاعماق ، المستقيمة كالسهم ؟ ! اليس هو محمد صلى الله عليه وسلم المعلم والقائد والقبس ؟ ! اليس هو الزعيم الذى يقدم تعاليمه لا دساتير ولا خطبا ولا كلمات او نظريات علمية ! انما سلوكا وممارسة وتجربة وعملا وواقعا معاشا ينبض بالدم والوجدان .. ولننظر ..

فى أحد الايام الاولى للهجرة .. ايام الجوع والفقر والمسغبة ، يلتقى فى احد ازقة المدينة بجماعة من اصحـــابه .. تكسو وجوههم الصفرة ، ويطوى اجسادهم العناء وقلة الطعام . . يشـــتكون اليه من الجوع ، ويكشفون عن بطونهم التى شد كل منهم عليهـــا قطعة من حجارة ليسكت جوعتها .. فيبتسم الرسول صلى الله عليه وسلم برفق وحنان ، ولا يعزيهم بالكلمات .. فالكلمات فى ساعات الجوع الكافر لا تطعم ولا تغنى من جوع .. يكشف لهم عن بطنه فاذا به قد شد عليها قطعتين من الحجارة الصماء ! !

روى البخارى أن أنس بن مالك قال : ما أعلم النبى رأى رغيفا مرققا حتى الحق بالله ولا رأى شاة سميطا بعينه قط !! وعن عائشة قالت : انا كنا لننظر الى الهلال ، ثلاثة اهلة فى شهرين وما اوقدت فى ابيات رسول الله نار . . فقـــال لها عروة بن الزبير : ما كان يعيشكم ؟ قالت : الاسودان ، التمر والماء . وقالت عائشة ايضا : لقد توفى رسول الله وما فى رفى من شىء يأكله ذو كبد الا شطر شعير فى رف لى . . وعن ابى ذر قال : كنت امشى مع النبى فى حرة المدينة ، فاستقبلنا احد ، فقال : يا ابا ذر ، قلت لبيك يا رسول الله . فقال : ما يسرنى ان عندى مثل احد هذا ذهبا ، اموت

وعندى منه دينار الا ان اقول به فى عباد الله هكذا وهكذا وهكذا ، عن يمينه وعن شماله وعن خلفه . ثم مشى فقال : ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة ، الا من قال هكذا وهكذا وهكذا ، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ، وقليل ما هم ... !!

ويحدثنا محمد الغزالى فى كتابه (فقه السيرة) قائلا : ان هذا المنهج الصارم فى المعيشة تقاضى نساء الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتحملن شدة ما كن يعرفنها من قبل ، لقد جئن اليه من بيوتات كبيرة ، واكثرهن اعتادت فى صدر حياتها الزاد الطيب والنعمة الدافقة اما مع ابائهن واما مع رجالهن السابقين . فلا عجب اذا تململن من هذه الحياة الجديدة ، وطلبن الرغد والنعـــومة ، واجتمعن ليسألن الرسول مزيدا من النفقة ، تتزعمهن عائشة بنت ابى بـــكر وحفصة بنت عمر .. وحزن رسول الله لهذه المظاهرة . انه المسلم الاول على ظهر الارض ، وابصار المؤمنين والمؤمنات ترنو اليه من كل ناحية . وهو بصدد بناء امة تشق طريقها وسط الوف مؤلفة من الخصوم المتربصين . فاذا لم يعش بيته عيشة المجاهد المحصور فكيف يواصل الكفاح ويكلف الرجال والنساء من امته ان يذهلوا عن كل شىء الا السير بدينهم حتى يبلغ مأمنه ؟ لذلك رفض النبى الاستجابة لرغبات نسائه فى توسيع النفقة ، وكره منهن هذا التطلع فقرر مقاطعتهن حتى شاع بين الناس ان النبى طلق نساءه جملة .. وفزع ابو بكر وعمر لهذه الاشاعة . . فذهبا يستأذنان ليدخـــلا عليه ، وليتعرفا جلية الخبر . فلما دخلا وجد النبى صامتا وحوله نساؤه واجمات !! وسأله عمر : اطلقت نساءك يا رسول الله ؟ قال : لا ... الا أن جو الحزن كان يخيم على المكان ، فقال عمر : لأكلمن رسول الله لعله يضحك ! فقال : يارسول الله لو رأيت ابنة زيد ويعنى زوجته سألتنى النفقة لوجأت عنقها ، فضحك النبى حتى بدا ناجزه وقال : هن حولى يسألننى النفقة . فقام ابو بكر الى عائشة يؤدبها وقام عمر الى حفصة . كلا يقول : تسألان النبى ما ليس عنده !! .. وهجرهن النبى شهرا حتى يشعرن بما فعلن ، ونزلت آيات التخيير من عند الله تطلب اليهن جميعا اما التجرد للدار الآخرة مع رسول هذه طريقته فى حياته ! واما اللحاق بأهلهن حيث الملابس الحسنة والمآكل الدسمة . وكان هذا الدرس كافيا ليمحو

آخر ما فى انفسهن من رغبة تتجاوز المباحاة المشتهاة ! فاخترن جميعا البقاء مع النبى .. وعشن معه للجهاد والمواساة والتواضـــــع والخدمة ... » .

ونعود الى اليسار ، من ادناه الى اقصاه ، لنراه لا يزال يحمل شعارات الثورة من اجـــل العدل والمواســـاة ، مرتفعا بها ، بخفة وتمرس ورشاقة ، على اكتاف الكادحين والجائعين الى سدة الحكم والسلطان حيث تبدأ مأساة (الطبقة الجديدة) بحيازة هؤلاء القادة للاموال والقصور والسيارات ، وانغمارهم فى الملاهى والترف والملذات ، ولتذهب القاعدة الكادحة الى جهنم ، وليحيا اليسار القيادى العظيم . .



تاريخنا ولعبة اليمين واليسار

« فبعضهم يرى ان المجتمع العربى (فى مكة والمدينة) شهد بداية تكوين مجتمع يمتلك الرقيق ، بينما يرى « بيجو لفسكايا » ان القرآن الكريم يشعر بتركز مرحلة ملكية الرقيق ويذهب مع (بلاييف) الى ان المرحلة الاقطاعية هى من آثار اتصال العرب بالشعوب الاخرى . هذا ويرى آخرون ان المجتمع الاقطاعى بدأ بالتكون فعلا .. ومنهم من يرى ان الاسلام يلائم مصالح الطبقات المستغلة الجديدة من ملاك وارستقراطية الاقطاع مثل (كليموفيج) ، ومنهم من يراه فى مصلحة ارستقراطية الرقيق فقط فى حين ان البعض (مثل بلاييف) يرى ان الاسلام المتمثل بالقرآن لا يلائم المصالح السياسية والاجتماعية للطبقات الحاكمة ، فلجأ اصحابه الى الوضع فى الحديث لتبرير الاستغلال الطبقى الجديد . وفى حين ان بعضهم يقول ان الارستقراطية وحدت القبائل العربية لتحقيق اغراضها يقول غيرهم ان القبائل كانت تتوثب للوحدة فجاء الاسلام موحدا يعبر عن ذلك التوثب . ويضطرب الموقف من نشأة الاسلام ذاته ، فبينما يدعى (كليموفج) ان محمدا صلى الله عليه وسلم واحد من عدة انبياء ظهروا وبشروا بالتوحيد وارادوا توحيد القبائل ، يذهب (تلستوف) الى نفي وجود النبى العربى ويعتبره شخصية اسطورية . وبينما يعترف البعض بظهور الاسلام ، يذهب (كليموفيج) الى ان جزءا كبيرا منه ظهر فيما بعد ، فى مصلحة الاقطاعيين ، ونسب اصله الى فعاليات معجزة لمحمد ، وتجاوز « تولستوف » الى ان الاسلام نشأ عن اسطورة صنعت فى فترة الخلافة لمصلحة الطبقة الحاكمة ، وهى اسطورة مستمدة من اعتقادات سابقة تسمى الحنفية » !!

د . عبد العزيز الدورى (ورفاقه) تفسير التاريخ (مقال : التاريخ والحاضر) .

كثيرة هي المؤامرات على تاريخنا الاسلامي .. مؤامرات ذات ابعاد شتى واهداف عديدة ، قريبة وبعيدة .. مؤامرات موجهة ومنظمة ومصروف عليها الكثير . فمنذ ان اصبح للمسلمين تاريخ يتمثل برسولهم « عليه الصلاة والسلام » واسلامهم ومن ثم بدولهم وحضارتهم .. بدأت هذه المؤامرات تنسج خيوطها علنا وفي الخفاء ومن الداخل والخارج : واشترك فيها الاعداء والاصدقاء على السواء . !

واضح ان يحدث تآمر كهذا من كافة المواقع والحصون التي هددها — ويهددها — الاسلام بما انه دعوة تحريرية شاملة ضد كل القوى المتحكمة في مصير الانسان وسعادته ... وخطة انقاذ كبرى من كل سيطرة بشرية تدعى الالوهية والحاكمية من دون الله وثورة دائمة على كل القيم والانصاب والطواغيت التي فرضتها المصالح القريبة ، ورغبات الطغيان فرضا ، وضربة قاصمة تنزل على ظهور الذين يتعبدون الناس من دون الله ، لكي يسوقوهم لخدمة اهدافهم ومنافعهم ويحيلوهم — باسم التحرر والتقدم — الى قطعان من العبيد .

ان هذه الفئات كلها ، جاء الاسلام لكي يجتث وجودها من على سطح الارض اجتثاثا ، وهي — حرصا على وجودها وعلى مصالحها ورغباتها — راحت تتآمر بعد ان رأت عدم جدوى الصراع الشريف المكشوف ازاء عقيدة صريحة واضحة تنبثق من اعماق فطرة الانسان السوي ، وتنسجم — بمنطق الهي معجز مع حركة الكون والحياة .

* * *

وينتصر الرسول — عليه الصلاة والسلام — وتنتصر مبادئه

التحررية وتقوم دولة الاسلام . وفى عقود محدودة من الزمن تنساح مبادىء الاسلام ـــ هذه ـــ وتمتد رقعة دولته الى مسـافات شاسعة وتشترك السواعد المؤمنة والعقول المدركة والقلوب المتحركة بدفق من حب وايمان لا ينفدان ، تشترك جميعا فى بناء حضارة لم يشهد لها التاريخ مثيلا فى يوم من الايام ، لا فى الاسس الاعتقادية التى تقوم عليها ولا فى معطياتها جميعا . لان الانسان الذى صنعها انسان بعثه الرسول الكريم على عين الله ورعايته ، وربته مبادىء السماء وثقفته اوسع نظرة منفتحة على طاقات الكون واسراره وامكاناته الهـائلة .

واذن فقد غدا على المتآمرين ـــ وقد انسحبوا من ميـادين الصراع الشريف المكشوف ـــ ان يعملوا بحكمة ودقة وخفاء على اربع جبهات مستهدفين التشويه والتشـكيك وبعث القلق الفـكرى والفوضى والاضطراب فى نفوس المسلمين .

والجبهة الاولى هى شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومن بعده كبار الخلفاء والصحابة والتابعين ، وجميع الدعاة والمفكرين الذين صدروا عن الاسلام عبر عصور التاريخ جميعا .

والجبهة الثانية هى جبهة المبادىء والاسس النظرية والاعتقادية التى جاء بها الاسلام .والجبهة الثالثة هى الدولة الاسلامية التى تمثل التطبيق العملى لتلك الاسس . ثم يأتى دور الجبهة الرابعة وهى جبهة الحضارة الاسلامية وقيمها ومفاهيمها .

لم يفتر المتآمرون يوما عن السعى والدأب والنشاط لزرع بذور القلق والتشويه والاضطراب والشك فى مدى هذه الجبهات جميعا .. ومن ثم يبدو هدف هذه المحاولات واضحا وضوح الشمس لكل ذى عقل : ان يقنعوا الطبقات المثقفة فى العالم ، من شتى الاجناس والديانات وفى شتى بقاع الارض ، بأن الاسلام لا يمكن ان يحتل ايما مكان محترم ، لا فى نفس الانسان وعقله ووجدانه ولا فى ارضه وبلاده ، ما دام على هذه الدرجة من الفوضى والاضطراب عقيدة وقادة ودولا وحضارة .

ولكن الهدف ليس هذا فحسب ، ان هذا ليس الا هدفا ثانويا بالنسبة لهدفهم الاول وهو ان يلقوا بذور الشك والكراهية والنفور والفوضى فى وجدان المسلمين انفسهم وعقولهم كيلا تتجه ارادتهم فى يوم من الايام الى التجمع الجدى حول اية دعوة او حركة تستهدف تحكيم الاسلام فى واقع الحياة التى تلاحقها اللعنات وتصيبها الامراض ، وينخر فيها السوس ، ويملا الفساد ارضها وبحرها .. ان اى تهاون من قبل هؤلاء المتآمرين فى السعى لتحقيق هذا الهدف سوف يعرض مكاسبهم للانهيار لان قيام اى دولة جديدة تحكم بالاسلام ، سوف يعطى مثلا حيا واقعيا للعالم ، يدحض كل الإفتراءات التى صبها هؤلاء على مبادئ الاسلام وقادته ودوله وحضارته . اذن فلابد من فتح اعينهم جيدا ، والبقاء على حذر كامل للعمل فى هذه الجبهات من الداخل .. اذا ما أرادوا لاهدافهم ان تتحقق ويكتب لها البقاء .

ان القوى والجماعات والجصون التى يهددها الاسلام كثيرة ، متشبعة ممتدة فى اطراف الارض وكيان الانسان ، وهذه ولا ريب طبيعة الحياة القائمة على الصراع الابدى بين الحق والباطل ، وهذه القوى — على تشعبها — يمكن حصرها فى خمسة مواقع كبرى تستقطب كل العداءات المسمومة المنتشرة فى الارض ازاء الاسلام . فهنالك : الاستعمار الغربى بأشكاله المختلفة ، والصهيونية ، والصليبية والمادية الماركسية ، واخيرا المتحللون من القيم والاخلاق والمثل العليا والداعون الى اباحية كاملة وفوضوية لا تحدها حدود .

ولقد كان لكل هذه المواقع من الوسائل والامكانات ما هيأ لها سلاحا ماضيا فى معركتها الفكرية والنفسية ضد الاسلام ، هذه الامكانات المتمثلة بدول وحكومات ، وجيوش واساطيل ورؤوس اموال واجهزة اعلام ، واساتذة وصحفيين ومثقفين ، وعدد كبير من الجواسيس والمبشرين والدعاة الذين يتحملون المشاق ويجابهون الصعوبات فى سبيل تحقيق اهدافهم .

بدأ هؤلاء جميعا بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم : طعنا وتشكيكا وتشويها وقلباً للقيم والحقائق . ثم انطلقوا الى مبادىء الاسلام ، وراحوا ينقضونها — بزعمهم — مبدأ مبدأ ، وعروة عروة ، ناقدين مشككين مستعينين بكل الاساليب « اللاعلمية » لتحقيق هدفهم ومتوسلين بكل الطرق « اللاموضوعية » لبلوغ هـذه الامنية . وانساحوا بعد هذا يهدمون وضربون فؤوسهم ومعاولهم فى دول الاسلام واحداثها ، مختارين بدقة ومهارة عجيبة الفترات الاكثر تعبيرا عن روح الاسلام ، والاكثر التزاما بقيمه واحكامه ، وهم خلال ذلك كله يتناولون شخصيات الاسلام : خلفاء وقادة ودعاة ومفكرين ، فيترجمون لهم واحدا اثر واحد ملقين على شخصيته الظلال وباذرين فى حياته بذور الحقد والتعصب والتنافس غير الشريف بحيث يحولونه الى « مكيافيللى » لا يتورع — لحظة — عن التخلى عن قيمه فى سبيل تحقيق اهدافه ومصالحه الخاصة ، او « درويش » لا يفقه من السياسة شيئا بسبب التزامه بالقيم والاخلاق الاسلامية !!

ثم جاءوا بعد هذا الى الحضارة الاسلامية فأوحوا — منذ البدء — إنها لا علاقة لها بالاسلام البتة ، وانها عبارة عن مزيج من حضارات قديمة فارسية وهندية وبيزنطية ، القى فوقهـا ، ومن الخارج فحسب ، رداء الاسلام . كما راحوا يشككون بالعقلية الشرقية عموما ، والاسلامية خصوصا ، وانها ليست قادرة على ربط المفاهيم المتفرقة والقيم المتناثرة والجزئيات ، فى كليات عامة ومبادىء شاملة ، لان الشرقى — على العكس من الغربى — غير قادر لضعف فى بنائه العقلى والنفسى على النظرة الكلية والاستشراق والادراك المتفلسف لحقيقة الاشياء .

وفى كل جبهة من الجبهات الاربع هذه ، اقاموا دراساتهم من زوايا مختلفة لا زاوية واحدة ، وقدموا وجهات نظر عديدة حول النقطة الواحدة ، واستخدموا اساليب مختلفة متباينة ، واتخذوا مواقف دائمة التغيير والجدة والتحول ، واعتمدوا كل الامكانات التى هيأتها العلوم الحديثة ، وبخاصة علوم النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة والفلسفة ، لتطبيق مفاهيمها المبتكرة على الاسلام ورجاله وتاريخه . ولم يهتموا ابدا للخطأ الفاضح فى تطبيق

قيم وضعية محدثة على مبادىء الهية وتجارب زمنية اكثر عراقة واصالة واوسع مدى .. المهم انهم لم يجمدوا على اسلوب واحد ، وعلى وجهة نظر محدودة ، او يتخذوا موقفا واحدا فى دراساتهم لمختلف المواضيع .

* * *

وها نحن اليوم نرى محاولة او « موقفا جديدا » ربما كان بداية لمدرسة جديدة تستهدف تفسير الاسلام وتاريخه ومواقف زعمائه وسير حضارته ، من وجهة النظر القائلة ان هناك صراعا دائما — منذ فجر التاريخ — بين اليسار واليمين ، وهى — بعبارة اخرى — تطبيق واضح لفلسفة النقيض « الديالكتيك » التى جاء بها « ماركس » والتى أثبتت الدراسات النظرية والوقائع التاريخية تهافتها وفشلها التام فى تفسير التاريخ .

وفكرة اليمين واليسار هذه ، فكرة مهدت لها الصهيونية واستغلتها هى والاستعمار الجديد ، والصليبية ، ابشع استغلال فى مناطق واسعة من العالم الاسلامى المعاصر . ويبدو انهم لم يكتفوا بخلق هذا التمزق فى واقعنا المعاصر فحسب بل اخذوا يطمحون لتوسيع مداه عن طريق الدخول بفكرة اليمين واليسار الى قلب التاريخ الاسلامى لتفسير احداثه ومواقف قادته بما يحقق هدفهم الرئيسى وهو تعميق هذه الفكرة ، فكرة اليمين واليسار ، فى نفوس واذهان الاجيال المعاصرة ، عن طريق الايحاء بان صراعا كهذا ليس سوى حتمية تاريخية شهدها التاريخ الاسلامى منذ فجر ايامه ، فاحرى اذن ان تبلغ هذه « الحتمية » عنفوانها فى الوقت الحاضر .

ان ابحاثا كثيرة بدأت تنشر ومقالات شتى بدأت تحتل مكانها على صفحات المجلات والنشرات ، وكتبا عديدة راحت تتدفق على الاسواق ، تعتمد جميعا تطبيق صراع اليمين واليسار على التاريخ الاسلامى .. ومن الانصاف ان نقول بان ليس جميع هؤلاء الذين يؤكدون وجهة النظر هذه ، يصدرون عن مواقف صليبية او ماركسية او صهيونية ، فمن هؤلاء من تدفعه سلامة نيته وتبعيته النفسية

التلقليدية ، والرغبة في الظهور بمظهر المجدد المتحرر في كتاباته وابحاثه ، وغيرها من العوامل الشخصية التى تدفع الكثير من المفكرين الى الادلاء بدلوهم فى كل جديد . ولكن هؤلاء لا قيمة لهم لانهم اشبه بالقطع الطافية التي لا وزن لها والتى يجرفها التيار دائما الى حيث يشاء .. ولكن الخطورة تكمن فى التيار نفسه .. تيار الصراع بين اليمين واليسار الذى عانينا من مأساته طيلة هــذا العقد . وها هى الايدى نفسها تمتد لتحفر مجار جديد ، مصطنعة ، فى قلب تاريخنا لتدفع اليها صخب التيار وزيفه واقذاره .

يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يمثل الاسـناد الارستقراطى الاخير للطبقية المتنفذة فى مكة ازاء ثورة الـكادحين ، وانه حرصا على عدم حدوث ثورة كهذه تعصف بكل مصالح اغنياء مكة ، دعا الى الاسلام ليمتص هذه الطاقات المتمردة .. ويقولون عكس هذا !! ان محمدا « صلى الله عليه وسلم » كان يقف مع اليسار ضد قوى اليمين المتمثلة بحفنة من زعماء قريش وكهنتها ، وان الاسلام هو فى حقيقته ثورة اليسار على اليمين .. ويقولون ان الفتنة التى شهدها عثمان « رضى الله عنه » انما تمتد جذورها الى عهد السقيفة ، بل الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه .. ففى سقيفة بنى ساعدة نجد عمر بن الخطاب وابا عبيدة بن الجراح اليمينيين ينافحان من اجل وصول ابى بكر الصديق — زعيم اليمين !! — الى منصب الخلافة رغم المعارضة الصامتة التى قادها على ابن ابى طالب — زعيم اليسار !! — والتى دفعته الى رفض المبايعـة والاحتجاب فى بيته اياما طوالا .. ويقولون ان عمر بن الخطاب رأى فى اواخر عهده .. التسلط اليمينى على مقدرات الامة متمثـلا بطلحة والزبير وعثمان وبنى امية .. الخ ولذا انقلب عليهم كى يحـدث توازنا بين اليمين واليسار ، ثم ما لبث ان غدا فى اواخر حكمه يساريا من الطراز الاول !! ولذا اعلن ان لو مد الله فى عمره فلسوف يأخذ فضول اموال الاغنياء ويردها على الفقراء .. ثم يجىء عثمان بن عفان وتزداد الادلة والشواهد على ان المشكلة — اولا واخيرا — مشكلة صراع بين يمين ويسار ، لان عثمان يمثل قمة اليمين — عثمان الذى تنازل عن ثروته مرارا عديدة وانسلخ عن كل ما يملك فى سبيل الدعوة — وانه بتقريبه بنى مروان عزز مواقع اليمين ضد

اليسار والمتمثل بأبى ذر وعلى وعمار بن ياسر وآخرين من كبار الصحابة رضى الله عنهم . واذ كان « على » يساريا معتدلا فقد آثر الوقوف على الحياد ، اما ابو ذر فقد اعلنها ثورية صريحة ضد عثمان وولاته اليمينيين وعلى رأسهم معاوية بن ابى سفيان ، الامر الذى ادى الى طرده (هكذا) من المدينة شر طردة ، كى يموت فى «الربذة» وحيدا ، بعيدا عن مسالك الناس . . ثم ان الامر — اولا وقبل كل شىء — امر صراع بين بنى عبد شمس وبنى هاشم ، بين اليمين المتمثل بالعائلة الاولى واليسار المتمثل بالعائلة الثانية . .

هذا الصراع الذى غطى مساحات واسعة من التاريخ الاسلامى تبدا بعهد الرسول — صلى الله عليه وسلم — وتستمر حتى عهود بنى العباس . . وطيلة هذه العهود حيث كان اليمين المسيطر على الحكم ، والمتحكم فى رقاب الكادحين ، كانت تقوم ثورات يسارية قادها ابو ذر مرة ، والزنج والزط مرة اخرى ،والقرامطة مرارا !! وهؤلاء بالذات كانوا اشد اليساريين تطرفا « وعلمية » !! لانهم نادوا بشيوعية الاموال والنساء ، وطبقوها فى كوادرهم ومجتمعاتهم السرية .

هذه باختصار — بعض امثلة وخطوط سريعة لما يمكن ان نجده فى عدد من المجلات المعاصرة ، وبعض الكتب والنشرات والاحاديث الاذاعية والابحاث . . ان المتآمرين يختارون الوقت المناسب لطرح افكارهم وترويج مشاريعهم . . ويعتمدون — بعد هذا — على عدوى التقليد . . . ولما كانت فكرة الصراع بين اليمين واليسار هى « موضة » اليوم ، فلا اروع من اختيار هذا الوقت لحفر التيار الهدام فى كيان التاريخ الاسلامى ، وتفسير احداثه باسلوب غريب ، شاذ ، لا يمكن بأية حال من الاحوال ان يعطى تفسيرا مقنعا لاحداث هذا التاريخ الذى تقوم بنيته — قبل اى شىء آخر — على صراع القيم والمعتقدات . . ومن قبل حينما كانت « الديمقراطية » هى « موضة العصر » فى الشرق الاسلامى ، حاول المستشرقون ان يوهموا بأن بعض الاحزاب الاسلامية كالخوارج كانت تؤمن « بالديمقراطية » مما يوحي لاذهان القراء والدارسين ان فكرة هؤلاء فى الحرية السياسية جديدة كل الجدة ، وان لا علاقة

لها بالاسلام . ويومها وجدت هذه الفكرة عددا كبيرا من المقلدين الذين راحوا يصنفون الاحزاب الاسلامية الى ديمقراطية وغير ديمقراطية .

ان على المؤرخين الاسلاميين — اليوم — أن يفتحوا أعينهم جيدا على ما يراد بتاريخهم ، وبالتالى وجودهم ومستقبلهم ، باسم البحث العلمى والأساليب العصرية الاكاديمية فى البحث والتنقيب . وما هو بالبحث العلمى ولا الاسلوب العصرى .. ولكنها مؤامرات مدروسة تتوالى على وجود هذه الامة وتاريخها لتخنق انفاسها ، وتقطع علاقاتها الفكرية والعقيدية بماضيها العظيم ، ومن ثم جعلها تطفو كالزبد على سطح البحار والانهار ، تتقاسمها رياح السموم ، وتتقاذفها التيارات ذات اليمين وذات الشمال .



نموذجان من لعبة اليمين واليسار .

« أن الانتماء اليســارى يبــدا من الايمــان بالعــلم وينتهى الى الدعوة للاصــلاح الاجتماعى . . . ويخلط المنتمى الى اليمين بين العروبة والاســلام » !!

غالى شــكرى (القبطى) مجلة (العــلوم) العــدد السادس ــ السنة التاسعة .

رأينا فى الحلقات السابقة من هذا البحث سخف فكرة اليمين واليسار ، وتفاهة القائمين عليهما من حيث انهم أدوات بأيدى (الكبار) يحركونهم كما يشاءون ، فيقتتلون ، عن طريق اثارة ضجيج الصراع بين اليمين واليسار ، المعالم الأساسية للصراع الاكبر بين الحق والباطل ، أو بين الاسلام والجاهلية . كما رأينا أن هؤلاء المتصارعين (الصغار) ليسوا — على أحسن حال — أكثر من مقلدين محليين لما يدور على النطاق العالمى من صراع . والتقليد — بأى شكل من الأشكال — لعبة خطرة يجب أن يتجنبها الباحثون — بجد — عن الخلاص ، وأن يعرفها أصحاب العقائد على حقيقتها كيلا يضيعوا فى زحام المصطلحات . وعرفنا كذلك أن الصهيونية والاستعمار أفادا كثيرا من هذه (المهزلة) فى واقع حياتنا الراهنة ، ومن ثم سعوا ، ووراءهم حشد من العملاء والمقلدين وانصاف المثقفين ، الى تعميق مهزلة الصراع اليمينى اليسارى هذه ، والدخول بها — قسرا — الى ساحة التاريخ الاسلامى .

وفى هذه الحلقة — الأخيرة — نريد أن نستعرض نموذجين لمعطيات هؤلاء الذين بهم تمت اللعبة ، وجوجيء اللاعبون العرب بجيوش صهيون تغذ خطاها صوب السويس والأردن وهضبة الجولان . وهذه المعطيات يعود بعضها الى سنين طويلة مضت ، ويعود بعضها الآخر الى ما بعد نكبة الخامس من حزيران . وأصحابها لا ينفردون بوجهة نظرهم هذه ، بل ان هناك أعدادا كبيرة ينسجون على هذا المنوال بيوتا وافكارا كنسيج العنكبوت « وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » . وسنرى ما يؤيد القول بأن القضية ليست سوى انعكاس لأهداف الدول الكبرى والقوى العالمية فى المنطقة ، وبخاصة الاستعمار والصهيونية أو انها — على احسن حال — ضجيج متعمد لتضييع معالم الصراع الاصيل بين الإسلام والجاهلية ، ولتمرير المؤامرات الكبرى فى عالمنا الاسلامى .

النموذج الاول ننقله عن مقالة للكاتب اليسارى المصرى (غالى شكرى) نشرتها مجلة (العلوم) اللبنانية فى عددها السادس من السنة التاسعة .. وقد جاء فيها « اليمين غالبا هو ذلك الموقف

المتدين المستقر على جدران السقف (!!) واليسار دائما هو ذلك الموقف العلمى من الدين والمجتمع (!!) اى ان الدين عند اليمينى واليسارى على السواء هو نقطة البداية (!!) فى قضية الانتماء . وهو وضع يخص الحضارة العربية بالذات ، لأن المسيحية فى الغرب — هى من ناحية — بضاعة مستوردة من الشرق ، ومن ناحية اخرى لا تثبت طويلا امام تحديات العلم الاوربى ، وانعدام الايمان بها — ثالثا — لا يهدد انظمة الحكم القائمة حديثا ، ولا يضع المواطن الغربى فى صف اليسار ، اما نحن فالامر مختلف الى حد كبير . ان التدين من العناصر الاصيلة فى تكويننا الحضارى ، والتدين احد الاسلحة الخطيرة فى ايدى اليمين ، لهذا كان المنتمى الى اليسار فى موقف رد الفعل من الدين والمتدين معا وبصفة دائمة ، انه يجد نفسه وجها لوجه امام نقطة شائكة وهى ان ادوات التغيير ليست صناعة محلية (!!) انه فى مأزق لم يعرفه الثورى فى الغرب ، وهو مأزق نفسى مرير . فبينما يتسلح الاوربى بالماركسية — وهى صناعة اوربية — يفاجأ الثورى فى الشرق بأنه يقف فى الطرف المقابل يستورد العلم ونظريات التغيير من اوربا ، ليواجه حضارة متدينة من آلاف السنين (!!) لهذا يكون موقف المنتمى الى اليسار فى بلادنا هو رد فعل لجوهر هذه الحضارة ، وردود الفعل تتسم بالتضخم والانفعال والمبالغة . ومن ثم يصبح الموقف من الدين هو نقطة البدء عند اليسارى العربى . وليس كذلك موقف المنتمى اليمينى من الدين ، لانه يرى فيه — منذ البداية — مستندا مريحا لكسل العقلى ، وعاملا خطيرا فى توطيد مصالحه الاجتماعية (!!) فاغلبية الجماهير الشعبية متدينة وجاهلة وبالتالى يمكن الاعتماد عليها من هذه الزاوية ، خاصة اذا كانت هى الهدف فى الاستغلال الاجتماعى — ص ٦٦ من المجلة المذكورة — » ويمضى غالى شكرى — وهو مسيحى بطبيعة الحال والدين الذى يعنيه هو الاسلام بطبيعة الحال — يمضى قائلا « ذلك ان الدين كان وما يزال مؤسسة قوية من مؤسسات اليمين — ص ٦٧ — » « هناك ازمة حقيقية اذن فى حياة المنتمى الى اليمين هى افتقاره الى بناء عقائدى متكامل من شأنه ان يعطى حلولا لتغيير الواقع من حوله (!!) وهى ازمة مرحلية تجاوزها اليمينى بعدئذ حين ارتمى فى احضان الفاشية العلنية سواء فى جناحها المتدين (الاخوان المسلمون) او فى جناحها القومى (مصر الفتاة) . وهناك ازمة حقيقية فى حياة المنتمى الى اليسار هى انه يغترف من الفلسفة البورجوازية (!!)

مما يعينه على الوقوف امام حضارة كاملة فى حاجة الى التغيير من الداخل ، من حيث الجوهر — ص ٨ ٦ — ٦٩ » ويصل غالي شكرى الى القول بأن « مما يزيد موقف اليسارى العربى تعقيدا انه يرتبط بانيسار السياسى عن طريق الفكر فهو يرى فى النظريات المادية العلمية (!!) حلولا لأزمته الشخصية ، وازمته الشخصية الاولى هى الصراع بين الدين والواقع » ثم ما يلبث الكاتب ان يذكر ، فى معرض تحليله ان « هنالك مناقشات حامية لا تنتهى بين اليسارى المؤمن بالعلم واليمينى المؤمن بالله . وتحجب الرؤية الاجتماعية القاصرة .. ما تؤكده حركة المجتمع من انتصارات الى جانب العلم والاشتراكية ، بغض النظر عما يمكن ان تؤدى اليه هذه الانتصارات من كشف لاوراق الدين والميتافيزيكا (!!) . فاليسارى — بعد مرحلة رد الفعل — ينظر الى الدين نظرة جديدة . انه يراه معوقا للحركة الثورية بلا شك ، ولكنه يحاول الا يجعل منه قضية اساسية فى زمن معين وبين الجماهير الشعبية بالذات (!!) . فالأهم هو القضاء على الاستغلال الاجتماعى الذى يؤدى بدوره الى القضاء على الاستغلال العقلى (!!) — ص ٧١ — » . فاذا ما عدنا للتنقيب فى المقالة المذكورة ثانية فان عبارة اخرى لابد وان تلفت انتباهنا ، تلك هى : « ان الانتماء اليسارى يبدأ من الايمان بالعلم وينتهى الى الدعوة للاصلاح الاجتماعى .. ويخلط المنتمي الى اليمين بين العروبة والاسلام ... — ص ٦٨ — » وذلك هو بيت القصيد ، ولن نزيد !!

اما النموذج الثانى — الذى اردناه دليلا على لعبة اقحام اليمين واليسار فى تاريخنا الاسلامى — فهو منقول عن نشرة داخلية — صدرت فى سوريا ، بعنوان (من يحرك التاريخ ؟) وتم توزيعها على العناصر الحزبية فى المعسكر التثقيفى لاتحاد طلبة سوريا المنعقد فى (كيسب) من ١ الى ٣١ تموز ١٩٦٨ (١) . جاء فى المقطع الاول من تلك النشرة (ص ٥) « نضال الجماهير العربية ودورها فى تثبيت اسس الاسلام كحركة اجتماعية واقتصادية : ان الاسلام هو اعظم ثورة حتى ذلك التاريخ (!!) ثورة تقدمية قادها ذلك الرجل العظيم الفذ والقائد المحنك المجرب الواسع الادراك الذى استطاع ان يشخص ذات امته ، والذى نفذ الى

(١) أنظر مجلة الشهاب ، السنة الثانية العدد ١٨ ، تشرين أول ١٩٦٨ .

قلب المجتمع العربي وعرف كل ما فيه من امراض ووصف لـه بعض العلاج (!!) . ولا غرابة في ذلك فمحمد ابن مجتمعه ، ابن الطبقات الكادحة المظلومة التي كانت تعاني في كل لحظة ظلم اثرياء قريش ، وظلم العادات والتقاليد الزائفة التي شاخت وعفى عليها الزمن . وكان لابد من ثورة لتقلب اسس المجتمع العربي لصـالح الفقراء . فكان فقيرا منهم قاد هذه الثورة الى النصر . وقد وصفه الله بالقرآن (الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى) ولذا (فأما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر)

فقد ادرك محمد علل المجتمع وتناقضاته ، وفتش عن الداء وحاول وصف الدواء ليقلب اسس المجتمع وتطوره . وجد محمد ان اولى افات المجتمع هو الاثراء الفاحش والاستغلال والعبودية والربا وظلم المراة . وحاول وصف علاج لكل آفة حسب مفاهيم المرحلة التي كان يمر فيها المجتمع في ذلك الحين (!!) .. فبالنسبة لارستقراطية قريش أول ما بدأ بها (الذين يكنزون الذهب والفضة) (وتأكلون التراث اكلا لما ، وتحبون المال حبا جما) . فهم والحالة هذه اثرياء يحبون المال ويعيشون له ليكتنزوه ويكدسوه على حساب الفقراء والمساكين ، فهم يختلفون والحالة هذه عن اولئك الذين (يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وفقيرا)(١) . وجمع محمد حوله كل فقراء مكة ، ولم ينخرط في الدين الجديد بادىء الأمر من الاثرياء الا عثمان بن عفان ، وبقي الفقراء هم حملة الاسلام وعموده الفقراء حتى اواسط الفترة المدنية ، مما جعل اثرياء مكة ذوى العقلية اليمينية يعيرون محمدا بفقر اتباعه ويزدرونه ومذهبه واتباعه (وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) ، كون الفقير عندهم هو الأرذل والمحتقر (قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون) ؟ . ان مجتمعهم يعطى المرء قيمة من خلال ملكيته وثروته ...قاد محمد هؤلاء الفقراء ، وحاول اول ما حاول انصافهم اقتصاديا ففرض (!!) الزكاة على الاغنياء لانقاذ الفقراء (انما الصدقات للفقراء والمساكين) عله بهذا يحسن أحوالهم فها هو يجمع الضرائب من الأغنياء ليسد بها حاجة

---

(١) هذه الآية وما يليها ننقلها كما وردت في النشرة التثقيفية !.

الفقراء فهو امين لطبقته محب لها مخلص فى خدمتها . لذا فكل التقاليد الطبقية والاجتماعية القائمة يجب هدمها واحلال الشعارات والعدالة والمحبة والسلام محلها (انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) . ولم يكتف محمد بمساعدة الفقراء من الزكاة انما منع الربا ، ذلك السم الزعاف الذى يستنزف جهدهم وتعبهم (يمحق الله الربى ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم) بهذا اراد محمد القضاء على الآفة الاجتماعية الثانية التى هى الربا ... » .

وليس لعاقل ان يناقش افكارا كهذه ، سواء طرحها فرد او طرحها حزب ، لما فيها من تهافت واضطراب واقتسار لحقائق الصراع ، وطبيعة الحركات فى الشرق العربى . وما كان الهدف من هذا الاستعراض السريع لبعض النماذج هو النقاش ، وانما العرض المجرد لبعض الاقلام اليسارية وهى تخط محللة الصراع بين اليسار واليمين ، وفق ما تملى عليها اليد التى تمسك بها . ونترك الاقلام اليسارية هذه ، ومئات غيرها ، تسيطر اليوم على مئات من الصحف والمجلات والنشرات واجهزة الاعلام ، نترك اصحابها جميعا يقولون ما يشاؤون ، ويملاون بالضجيج آذان العرب ، وبالهراء افئدتهم ، فليس لمسلم جاد أن يضيع وقته فى مناقشة هذه التفاهات .

لكن .. ثمة اسئلة كثيرة يمكن انتوجه الى كل من اسهم ويسهم ، فى لعبة اليسار واليمين هذه .. اسئلة تحد لن تجد جوابها — ابدا — من افواه أصحابها ، لأن القناع الذى لبسوه يوم بايعوا على اللعبة لا يمكن ان يسقطوه باختيارهم ، وظهروا امام امتهم على حقيقتهم .. الا أن (التاريخ) له حكم آخر .. انه يسقط الاقنعة ويعرى المهرجين ، ويلوى سواعد الذين يريدون ان يمنعوه عن أداء مهمته .. انه بمنطقه القوى الذى لا يحابى — يعرض على الشعوب والأمم ، يوما بعد يوم ، صورا متكررة ليهوذا الذى خان يومها سيده المسيح — عليه السلام — ، وهو مستعد دائما — للخيانة ، بمجرد ان يلوح لعينيه بريق الذهب ، واغراء المناصب والدنانير !!

د/ عماد الدين خليل

فتنة اليسار الإسلامي
والرد عليها

ملحق بقلم الدكتور عبد الحليم عويس

مع الفشل الذريع الذي أصاب الفكر الماركسي في العالم العربي ، على الرغم من التأييد الخارجي له ، ومن التأييد الداخلي أيضا — وجد الماركسيون أن الضرورة الاستراتيجية تحتم تغيير وجههم الأحمر القبيح .

وقد جاءتهم التعليمات صريحة من موسكو بأن الوقت لم يحن بعد للهجوم المباشر على الاسلام ، وبأن عليهم ابراز شعار آخر يدلفون منه الى الجماهير المسلمة . فكان شعار « اليسار » هو الملجأ الطبيعي لهذا العمل ، نظرا لطبيعة اليساريين على امتداد تاريخهم ، قبل الفكر الماركسي وبعده ، وهي تلك الطبيعة الهائجة الثائرة المتمردة الفوغائية الدموية .. كما جلاها الدكتور عماد الدين خليل ! !

وبالتالي فقد عمدت مجلات (الطليعة) في مصر والكويت وغيرهما الى ابراز انها (لسان حال اليسار التقدمي) وعمد كبار الشيوعيين كخالد محيي الدين وعبد الرحمن الشرقاوي ومحمد عودة ولطفي الخولي الى القول بأنهم (يساريون) .. وبأنهم لا يهمهم الصراع مع الدين ، وانما الصراع مع القوى البرجوازية التي تستخدم الدين لأغراضها .. مع أن هذا الكلام الاخير هو نفسه الذي كان يلوكه لينين ، وهو الحجة التي اعتمد عليها الفكر الماركسي في صراعه الدائم مع الدين .. ومع أن الماركسية كفلسفة مادية في نظرتها للانسان والكون لا يمكن أن تلتقي مع فلسفة الدين القائمة على الايمان بوجود (خالق) مبدع رحيم لهذا الكون .

وليس يهمنا تتبع أمر الشيوعيين وتخطيطاتهم المرحلية والبعيدة المدى ، وافكارهم المعلنة والمستترة ، وتبعيتهم المباشرة وغير المباشرة للتوجية الصهيوني العالمي .

ليس يهمنا هذا ، وانما يهمنا أن تظل الجبهة الاسلامية مصانة واعية منطلقة من التصور الاسلامى وحده ..

ولهذا فقد أسفنا كل الأسف لذلك «الدخن» الذى أصاب بعض المسلمين فى أفكارهم وتصوراتهم ، فتابعوا « التكتيك » الماركسى من حيث لايدرون ، عندما قالوا بأن هناك شيئا اسمه « اليسار الاسلامى » ! !

وقد تولى كبر هذه الدعوة الأستاذ فتحى عثمان فى العدد الافتتاحى لمجلة « المسلم المعاصر » ولم يتبعه فى دعوته أحد اللهم الا مدرس آخر بجامعة الأزهر هو الدكتور « محمد رضا محرم » الذى كتب عن « المسلمين وحق الانتماء السياسى » مقالا فى العدد الثانى عشر من مجلة المسلم المعاصر ، يؤيد فيه اتجاه الأستاذ فتحى عثمان . وكلاهما يبنى دعوته لليسار الاسلامى على أساس أن هناك تفرقة زمنية معروفة بين نشأة مصطلحى اليسار والماركسية ، مع أن كل المعارضين يدركون هذه التفرقة لكنهم يرفضون المصطلح ، من موقف مبدئى ، نظرا لتكاملية الاسلام ، ولأن كل الخلافات السياسية يمكن أن تدور فى فلكه ، ونظرا لان مصطلح اليسار ليس بحد ذاته نظيفا ، فضلا عن التشويه الماركسى الأخير له .

وقد تصدى للرد على (فتحى عثمان) كثيرون ، منهم فى العدد الثانى من مجلة المسلم المعاصر نفسها الدكتور يوسف القرضاوى والأستاذ يوسف كمال ، وكاتب هذه السطور .

وقد ظننا أن الأستاذ فتحى عثمان بماله من تاريخ فى الدعوة الاسلامية والفكر الاسلامى سيعود الى الحق ، ولا سيما وقد كتب فى صدر رده على كاتب هذه السطور فى العدد الثالث من المسلم المعاصر العبارة التالية : « ولعل الأستاذ عويس قد يستغرب منى أننى متفق مع غالب ما قرره ... واستغرابه هذا قد لا يقل عن استغرابه أن يصدر عنى ما صدر بشأن « اليسار الاسلامى » !!.

والحقيقة أن عبارته تلك توحى بنوع من التشبث « باجتهاد خاطىء » لا مبرر للتشبث به ، فضلا عن أنه فى رده عاد يكرر تلك التفرقة التاريخية المعروفة بين نشأة مصطلحى اليسار والماركسية ، مسوغا بذلك استعمال مصطلح اليسار فى جانب الحركة الاسلامية التى لا ينقصها تمزق فكرى أو حركى جديد . وهو — فى رده — لم يتناول النقاط التى أثرناها مكتفيا بالقول بأنه متفق معنا فى أغلب ما قررناه ، دون أن يقول لنا ماهو الداعى اذن — مع هذا الاتفاق — للاصرار على دعوة اليسار الاسلامى ، التى من شأنها أن تحدث — لو نجحت — شرخا كبيرا فى الفكر الاسلامى والحركة الاسلامية المعاصرة ؟ !!.

***

وقد رأينا اتماما للفائدة من كتاب (لعبة اليمين واليسار) للكاتب الاسلامى الكبير الدكتور عماد الدين خليل ، وهو كتاب قيم ، كفيل ببيان الحق فى هذه القضية ، وبيان حقيقة هذه اللعب (الشعاراتية) الصهيونية الغوغائية ...

رأينا أن نعيــد تذكير القائلين باليسار الاسلامى بما سبق أن قررناه فى هذه القضية ، فلعلهم على ضوء حقائق هذا الكتاب ، والحقائق التى ذكرها — يعودون الى الحـق .. فذلك خير مـن التمادى فى الباطل ! !

***

فى العدد الأول من « المسلم المعاصر » كتب الاستاذ (فتحى عثمان) — كما ذكرنا — مقالا حدد فيه توقعاته لما يجب أن تكون عليه هــذه المجلة ... وتمنى أن تكون المجلة لسان (اليسار الاسلامى) !!.

والمقال المذكور — مع وجود أفكار جزئية طيبة ، فجأ القارىء

بفكرة كبرى ، يراها الكاتب ، ويقترحها ، كأبرز الخطوط الموجهة — من وجهة نظره — لمجلة المسلم المعاصر .

وهذه الفكرة تتلخص فى دعوته « أن تكون هذه المجلة لسان اليسار الاسلامى » ...

ومرشحات هذا الخط — من وجهة نظر الكاتب — كثيرة :

* متابعة للاصطلاح السياسى الحديث فى تقسيم القوى والجماعات والأفكار » .

* « ان الاسلام مظلوم حين يوضع دائما مع اليمين لمجرد أنه دين » .

* « ان المسلم يحارب الظلم الاجتماعى والسياسى » (كاليسار ! !) .

* « عجيب أن نسمع عن « اليسار الكاثوليكى » أو « اليسار المسيحى » بوجه عام ... فى حين نرى تصنيف الأفكار والحركات الاسلامية دائما مع قوى اليمين ... ربما حدث ذلك قصدا للاساءة للاسلام ، ولكن يبقى على المسلمين وحدهم عبء التصحيح بأقلامهم ودمائهم » .

(فلماذا المسيحية وحدها ؟ ! !)

* ولم يقف الكاتب عند هذا الحد ... بل ذهب الى تحديد بعض معالم « اليسارى المسلم » ... التى نظن أنه يراها تميز — هذا اليسار المسلم — عن المسلم العادى (غير الملتزم باليسار) ، وعن اليسارى العادى (غير الملتزم بالاسلام) وهى أيضا العناصر التى تدرج هذا اليسارى المقترح « بصورة مختلفة طبعا » مع اليسار العالمى تحت شعار واحد ... وقضية واحدة ...

* « اليسار المسلم اذ يجاهد فى سبيل الله والمستضعفين ،

ويناصر « الأيدى العاملة » التى يحبها الله ورسله ، ويسعى الى الحلول الجـذرية للقضايا السياسية والاجتماعية ... يؤمن بأن الجذرية لابد وأن تستوعب الأصول والأســس والجذور فى واقع الكيان المادى والروحى معا ... الخ »

* « واليسار المسلم يتمسك بالديمقراطية ، اذ هى حكم الله فى المصالح والعلاقات الانسانية حيث لا يكون النص الالهى القاطع فى وروده ودلالته ... الخ » .. (انتهى) !!.

* * *

وأنا اذكر أن واحــدا من الذين ينســبون أنفســهم الى « التصوف » أخــذ يحاورنى حول الصــوفى الحقيقى والصــوفى الدعى ... ويبسط لى القول فى خصائص الأول ... لدرجــة انه سرد كل ما اعرفه عن خصائص الاســلام ... حتى نسيت أنه يحدثنى عن شىء اسمه « التصوف » ...

وقد سألته : لماذا تأخذ ثوب الاسلام يا أخى ، وتمنحه لاتجاهك العاطفى أو الفكرى ؟ ... دع الثوب لصاحبه يارجل ! !

— والحق أن حديث الأستاذ (فتحى عثمان) عن خصائص اليسار المسلم ... ليس أكثر من الباس ثوب الاســلام لمصطلح جديد ... تماما كما البست أكثرية ساحقة من الدعوات المشبوهة التى ظهرت فى تاريخ العقل الاسلامى — بفعل ظروف مختلفة — هذا الثوب لآرائها ...

ولست أحاوره فى هذه الخصائص ، لأنها شىء لا خلاف عليه ، الا انها — بجملتها — وضع للامور فى غير موضــعها ، ولأنها — الباس للباطل اليسارى ... ثوب الحق الاسلامى ... بيد مسلمة طالما دافعت عن أصالة الاســلام وذاتية الاســلام أمام اللذين حاولوا (فى مصر من جماعة الكاتب والطليعة) تقسيم الاسلام الى

يسار ويمين ... ووضع بعض رجالاته فى كفة ، ووضع الآخرين فى كفة أخرى ...

(ونحيل القارىء هنا (والكاتب أيضا) الى كتاب « التاريخ الاسلامى والمذهب المادى فى التفسير لمؤلفه فتحى عثمان نشر دار القلم بالكويت » ليعرف رأى المؤلف فى (لعبة اليمين واليسار)قبل أن يطلع علينا بمقاله « الجديد » فى المسلم المعاصر ! !) .

وينحصر ردنا هنا فى النقطة الأولى التى تمثل اتجاها فكريا يرى الأستاذ فتحى عثمان أن تكون مجلة المسلم المعاصر لسانه : (اليسار الاسلامى) ...

— وفى البداية تحضرنا عديد من التساؤلات التى نسوقها هنا ، وتحتاج فى رأينا من الكاتب الى اجابة شافية :

* هل يمكن أن يكون مصطلح كهذا صحيحا فى ظل تكاملية المبادىء الاسلامية (عقيدة وعبادات ومعاملات الخ) ؟

* وما خصائص اليمين الاسلامى فى ظل هذا التصنيف ؟

* وهل يبقى اليمين اسلاميا مع انه مخل بشروط أصلية كثيرة لا تقتصر على الفروع ؟

* واليسار الاسلامى : هل سيبقى اسلاميا كذلك مع أنه بالضرورة سيهمل بعض الأساسيات الاسلامية — شاء أولم يشأ —؟

* وتاريخنا الاسلامى العظيم : هل سنبدأ تشريحه من جديد بتركيز شديد على الجوانب اليسارية ، واهمال — بل وادانة — للمواقف البرجوازية (من عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وأمثالهما ؟ ! !).

※ وهل يمكن التعامل مع الاســـلام من خلال هـــذه النظرة الجزئية الذاتية النفعية « التى يطغى فيها المذهب على المنهـــج » والايمان ببعض الكتاب (خضوعا للمذهب) والكفر ببعضه (خضوعا للمذهب كذلك) ؟ ! !

※ واليسار الاسلامى : هل هو مجرد مذهب فقهى جديد (ينحصر فى الفروع) أم هو « تجمع عقائدى » حركى مضاد ؟...

※ ومضاد لمن : لليمين الاسلامى أم لليسار غير الاسلامى ؟

※ وهل يقبل اليسار الحقيقى (غير الاسلامى) هذه النظرة التحريفية ؟ تلك التى تهمل أبجديات مذهبه (التفسير الاقتصادى .. المادية التاريخية) لتأخذ ظواهر وانعكاسات اجتماعية تكاد تكون موجودة فى كل الأديان والمذاهب ؟

※ والمسيحية — فى واقعها التشريعى — قاصرة ، وبالتالى لا يوجد ارتباط بين عقائدها وعباداتها ومعاملاتها على النحو الموجود فى الاســـلام ، فاذا جاز تكوين « يسار مسيحى » — لهذه الطبيعة الموجودة فى المسيحية .. فكيف سيجوز فى الاسلام ؟ ! ! (وانما هى ستار سياسى لأغراض جماهيرية مرحلية سياسية) ! !

※ والدلائل تشـــير الى نهاية الدور اليســـارى فى التوجيه العقائدى للفكر المعاصر ... فماذا سيكون موقف اليسار الاسلامى فى هذا الحال ، هل سيصفى نفسه ، ليعود من جديد الى الصف اليمينى الاسلامى الرجعى ؟ أم سيظل اليسارى الوحيد فى العالم ؟.

※ ※ ※

العجيب أن الدعوة الى اليسار الاسلامى أو الى تقارب بين الاسلام والشيوعية دعوة شـــيوعية أصلا .. نادى بها فى جريدة الجمهورية وغيرها كثيرون — أثناء سيطرة الشيوعيين على أجهزة

الدعاية فى مصر ... ومن هؤلاء « محمد عودة ، وسامى داود » .. وعبد الرحمن الشرقاوى ، ــ كما ذكرنا ــ . ! !

وأنا هنــا لا أرى رأى القائلين بتفرقة كبيرة بين اليسارى والماركسى لمجرد الفرق الزمنى ، وأرى أن حجم التفرقة المزعومة بينهما لا يزيد عن حجم التفرقة المزعومة بين اليهودى والصهيونى لأغراض سياسية واعلامية !!.

وقد غزت فكرة التفرقة بين الماركسية واليســار (باعتبار نشأتهما التاريخية) عقول كثير من المثقفين ، الذين حاولوا .. ضرب الإسلام ــ من هذا الطريق (وحاشا الأستاذ فتحى عثمان أن يكون منهم) .

ــ كمــا غزت هذه الفكرة عقــول كثير آخرين حاولوا أن يجمعوا بين عداءهم الفكرى للشيوعية ، وعدم اســتطاعتهم اتخاذ مواقف العداء للاشتراكية (بحكم ضغوط معينة) .

وأذكر كلمة قرأتها للاستاذ توفيق الحكيم (فى حديث صحافى) تظهر فيها هذه التفرقة التى توضح أصل هذا الموقف وجذوره ...

يقــول الحــكيم :

« اليسـار بحسب مفهومى هو الدعوة للتطور والتجديد ونبذ الجمود .. اليسـار دائما ضد المحافظة والجمود .. الاسلام فى عصره كان يسارا لأنه كان يدعو للتغيير ، وتحطيم كل التقاليد والاوضاع القائمة (!!) وتطوير المجتمع نحو جديد ..

... والذين يطالبون بتغيير المجتمع ســواء بجعله مجتمعا اسلاميا أو شيوعيا يعتبرون يسارا ضد الأوضاع القائمة فى المجتمع الحالى لأن المجتمع الحالى ليس شــيوعيا ولا اسلاميا ... هنا

أيضا اليسار الوطنى الذى يطالب بتغيير المجتمع والثـورة ضد سلبياته وتطبيق نظريات جديدة نابعـة من تجربته وتاريخه ... ثورة ٢٣ يوليـو (!!) كانت ضـد الأوضاع التقليدية الجامدة فى المجتمع المصرى ... الخ .

(وأخيرا يقول الحكيم) :

« وبهذا المفهوم الواسع .. أنا يسارى من النوع الثالث ... يسارى وطنى أدعو للتطور والتغيير والاستفادة من كل التجارب الانسانية والمحلية ... الاستفادة من التراث الاسلامى ... ومن التجربة الاشتراكية ... ومن تجاربنا المحلية .. الخ » ! !

* ومع اننا ــ كما ذكرنا ــ لا نؤمن بالفصل بين الماركسية واليسار ، (كما يدعى بعض الماركسيين المرحليين المهادنين) ، وكما يقول توفيق الحكيم (اعتمادا على النشأة التاريخية لأسبقية اليسار على الماركسية كأسبقية اليهودية على الصـيونية ! !) .. (مع أننا لا نؤمن بهذا ، فنحن ــ مع ذلك ــ نتساءل (كما تساءل الأستاذ فتحى عثمان نفسه من قبل فى كتابه المذكور آنفا ص ١٠٧) :

ــ اليمين .. يمين بالنسبة لماذا ؟ واليسـار ... يسـار بالنسبة لماذا (فى الاسلام ؟)

ــ وأى أوضاع يمينية (ثابتة لا تتغير فى الاسـلام) يريد اليمينيون الجامدون الحفاظ عليها ، بينما يريد اليساريون النزاعون الى التغيير الجذرى اقتلاعها من جذورها ؟

ــ ان مبادىء الاسلام ــ على اختلاف مستوياتها ــ تنقسم قسمين رئيسيين : أصول وفروع ...

* فأما الأصول فهى ثابتة لا تتغير ، والخروج عليها كفر صراح ، وردة (أيديلوجية) تستوجب العقاب فى الدنيا والآخرة ، بل أن هناك ــ حظرا شديدا فى باب العقائد على التلاعب بالشعارات

أو استغلال المنطوق والمفهـــوم ، لأنه فى باب العقائد « لا يغنى ملزوم عن لازم » .

* وأما الفروع ... فمن حق الجميع أن يجتهدوا فيهـــا ، وما يمكن أن يصـــلح به أمر الخليج (فى حالته البترولية المزدهرة) قد لا يصلح له بلد كاليمن أو مصر (يحتاج الى أشعرية اسلامية) ولا يعنى اختـــلاف الظروف هنا أن هناك ضرورة تقسيم الأفكار والمفاهيم ، وتقســـيم المسلمين بالتالى الى قوى يمينية فى الخليج ويسارية فى اليمن ومصر واندونيسيا ... وهلم جرا ..!!.

ــ أن الاجتهاد فى الفروع حق للجميع ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .. وعلى المسلم أن يأخذ ــ كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يأخذ ــ بأيسر الأمور المناسبة للظروف والطاقة ! !

وعلى امتداد تاريخ المسلمين وجد الأغنياء والفقراء جنبا الى جنب ، ومع ذلك فان المجتمع الاسلامى بشهادة المؤرخين المنصفين لم يصنف طبقيا بالمعنى المفهوم للطبقية الحديثة ، التى تتطلب ظهور قوى ثورية تريد تغيير المجتمع و « ياعمال العالم اتحدوا » من أجل حقوق الطبقة العاملة ..

ــ فمنذ اللحظة الأولى فى الاسلام بنيت حركة المجتمع على « التكاملية والتعاونية » وليس (الصراع) ، وبالتالى فليس هناك المبرر العملى ولا التاريخى لظهور طبقة « يسار » فى وجه طبقة « يمين » (بالمعنى المفهوم فى عصرنا) .

ــ والى الآن لم تنشأ المبررات التاريخية لهذا النشوء ... لأن طبيعة المبادىء الاسلامية المؤثرة فى «تراب » العالم الاسلامى وفى « بشره » لا تسمح بمثل هذا النشوء ...

ــ ومع اختلاف فى النســـبة طبعا ــ كما هى ســـنة الله فى الحياة ــ يمكن وصف كل مجتمع من المجتمعات الاسلامية على الجملة

بأنه مجتمع فقير أو غنى أو متوسط .. ودعك من الشـــذوذ الذى لا يوجب اسقاط القاعدة بل تأكيدها وتدعيمها ...

ــ فمـــا الضرورة الملحـــة الحتمية ـــ يا ترى ـــ لتطويع حركة التاريخ الاسلامى لظواهر وأمراض واتجاهات انبتتها حركة التاريخ المسيحى فى ظل اقطاع الكنيسة وما أعطته لنفسها من حق السيطرة على كل شىء ... العقل والمال والضـــمير بل وأقدس الخصائص التى لا يجوز أن يعرفها الا الله ؟ ! !

انه ـــ فى الحق ـــ لا توجد ضرورة ملحة « حتمية » لتطويع الاسلام لهـــذه الاعتسافات !! بل على العكس توجد الضرورات الحضارية الملحة للتمسك بمصطلحاتنا وشعاراتنا ... فليست هذه المصطلحات أهلا لأن نلوى عنق الحقائق الاسلامية لها ..

وليس المسلمون ـــ فى عصرهم الحديث ـــ بحاجة الى (اعادة توزيع) على أسس اخرى غير (التوزيعات) و (التمزيقات) التى منوا بهـــا ..!!.

دكتور عبد الحليم عويس



محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

***

وكيل دار الاعتصام بالكويت
دار القرآن الكريم للطباعة والنشر
أخصائيون في نشر التراث الإسلامي
والعناية بالقرآن الكريم وعلومه وأحكامه
ص.ب ٤٢ ، ١١١٤٢ ت: ٤١٢٥٤١

دار العلوم للطباعة
القاهرة: ٨ شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت: ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ٧٨/٣٣٨٩
الترقيم الدولى ٦ — ١٤ — ٧٣٠١ — ١٩٧٧





دائماً ، وعلى امتداد التاريخ ، كان هؤلاء الشياطين . . أصحاب البروتوكلات ، وأبناء صهيون ، محركى اللعب ، ومشعلى الفتن ، تارة فى اتجاه اليمين ، وتارة فى اتجاه اليسار ! !

ولأنهم ينطلقون من « استراتيجية واحدة » هى تحويل الأمميين — غير اليهود — إلى أبقار وأغنام . . فهم لهذا يتجهون إلى « غاية واحدة » هى التدمير بمعناه الشامل . . . تدمير العقائد . . وتدمير العقول . . وتدمير الأخلاق . . وتدمير المشاعر النبيلة . . الوطنية أو الروحية .

وإنهم ليتظاهرون — من وراء الكواليس — بالبراءة ، والتقدمية ، والتحررية ، والثورية ، والإصلاحية . . وهلم جرا .

لـكن النظرة المتأنية البصيرة إلى ما وراء الوقائع المبعثرة والجزئية ، سوف تكشفهم ، وتعريهم للعيان ، لتثبت أنهم (قادة الحكومة الخفية الحكماء) كانوا يحركون الخيوط خلف كل مصائب العالم الحديث فى عالمى الفكر والحركة .

ولعل مؤلف هذا الكتاب الدكتور عماد الدين خليل بما عرف عنه من شمولية وعمق ، هو من أقدر من يكشفون هؤلاء الشياطين الذين حركوا كثيراً من الانقلابات والثورات ، واخترعوا عشرات الشعارات التى يعتبر من أبرزها هذا الشعار البهلوانى « اليمين واليسار » ! !

دار الاعتصام